

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



عنوان المذكرة

الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور

ديوان أقول لكم "أنموذجا"

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص:

أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ

_ عمر قلايلية

إعداد الطالبتين

_ ليدية إخلف

_ نعيمة إمخولفن

السنة الجامعية: 2019.2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ

سنة ١٤٢٠ هـ
شعبان الثاني

الشكر والتقدير

قال تعالى "لئن شكرتم لأزيدنكم" سورة إبراهيم " الآية 7"

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

الحمد والشكر لله عز وجل أولاً وقبل كل شيء على تيسيره وتوفيقه لنا على إتمام هذا العمل

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل "عمر قلايلية" على مرافقته لنا في هذا العمل

وتحملة عناء العمل والذي أفادنا بكل صغيرة وكبيرة لإتمامه

ونتمنى أن يجعل الله هذا الجهد في ميزان حسناته وأن يجعله الله في خدمة العلم

ورمزا للعطاء.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كانت سندي في هذه الحياة

أمي العزيزة وإلى من كان قدوتي في هذه الحياة أبي الغالي

إلى إخوتي كل واحد باسمه

إلى جدي وجدتي أطال الله في عمرهما

إلى أختي وزميلتي نعيمة التي شاركت معي مشقة العمل والاجتهاد

وإلى أفضل صديق لي في هذه الحياة عبد النور

الذي لم يبخل علينا في أي شيء

إلى خطيبي وعائلته الكريمة

إلى الأستاذ المشرف عمر قلايلية الذي رافقنا في هذا العمل

بكل إخلاص لك مني كل الاحترام والتقدير

- إخلف ليدية -

الإهداء

من أفضلهما على نفسي أُمي الحبيبة وأبي الغالي الذين كانا

عونا وسندا لي طيلة مسيرتي الدراسية

إلى روح جدتي الطاهرة الزكية رحمها الله وأسكنها فسيح جناته

إلى إخوتي قوتي وسندي يانيس وفاهم حفظهما الله

إلى زميلتي في المذكرة التي تقاسمت معي عناء ومشقة البحث

وزميلي عبد النور الذي لم يبخل علينا بالمساعدة

لكما مني فائق الشكر والاحترام

إلى خطيبي وعائلته الكريمة

إلى الأستاذ عمر قلايلية الذي تكرم بالإشراف على البحث

لك مني كل الاحترام والتقدير

- إمخوفن نعيمة -

مقدمة

عرف عن الأدب العربي أنه يصوّر الواقع المعاش على مرّ العصور، حيث تناول قضايا مختلفة في شتى المجالات الاقتصادية السياسية الاجتماعية، وذلك أن الأديب ملتزم بنقل آمال وآلام الشعوب العربية ويسعى دائما على تطوير المجتمع وإصلاح أوضاعه خدمة للأمة والإنسانية أجمع.

فكرة الالتزام في الشعر قديمة قدم الشعر غير أن مصطلح الالتزام وليد العصر الحديث وهي جزء من كيان الشاعر العربي، لأن الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشها الشعراء كانت كافية أن تخلق في نفوسهم الرغبة بالاحتكاك بمشكلات المجتمع واستخدام الشعر وسيلة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بكل وضوح وصراحة، ومن هنا حفل الأدب العربي الحديث بشعراء كثر ظهر الالتزام واضحا في شعرهم، ولعل صلاح عبد الصبور نموذج بارز من هؤلاء الشعراء الذين أحسوا بالمسؤولية تجاه قضايا أمتهم، مدركا الدور الفعال، الذي يقوم به من أجل تصوير الواقع الذي تعيشه الشعوب العربية.

ومن هنا أردنا أن يكون موضوع بحثنا "الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور" ديوان أقول لكم أنموذجا" وعليه تمثلت أهمية الموضوع في كون صلاح عبد الصبور أحد أعلام العصر الحديث الذين كان لهم تأثير واضح وجلي على الشعر الحديث.

وفيما يخص الأهداف التي نود الوصول إليها من خلال هذه الدراسة، فتمثلت في ما

يلي:

_ الكشف عن دور الالتزام في معالجة قضايا الإنسان.

_ التعرف على جانب مهم في الشعر العربي عامة وفي شعر صلاح عبد الصبور

خاصة.

_ معرفة الأسباب التي دفعت الشاعر إلى تبني فكرة الالتزام في شعره.

_ الكشف على مدى نجاح الشاعر صلاح عبد الصبور في التعبير على أفكاره عن طريق الالتزام.

ومن أهم دوافعنا في اختيار هذا الموضوع الرغبة في التعرف على ما كتب في هذا الموضوع باعتباره من أهم القضايا التي شغلت الفكر النقدي والأدبي، بالإضافة إلى لكونه موضوعا يستحق الدراسة نظرا لأهميته الكبرى في الشعر العربي، أما سبب اختيارنا لصلاح عبد الصبور أنموذجا فكان رغبة في إبراز هذه الظاهرة في شعره لكونه نموذج جديد لم يتطرق إليه إلا القليل حسب معلوماتنا.

ومن الإشكاليات التي طرحناها في هذا البحث ما يلي:

_ ما هو الأدب الملتزم؟ وما علاقته بقضايا الإنسان؟

_ كيف أثر الالتزام على الشعر العربي؟ وفيما تتمثل مكانته؟

_ ما هي دواعي الالتزام في الشعر العربي عامة وفي شعر صلاح عبد الصبور خاصة؟

_ ما مدى تجلي الالتزام في الشعر صلاح؟ وما الغاية منه؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات اعتمدنا على المنهج الموضوعاتي باعتباره ملائما لموضوع الالتزام كما اعتمدنا على المنهج التاريخي بحيث ساعدنا في تتبع مراحل الالتزام عبر العصور التاريخية، وبالتالي قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة، مدخل، فصلين، وخاتمة.

جاء المدخل بعنوان الالتزام الماهية والمفهوم تناولنا فيه مفهوم الالتزام لغة وإصطلاحا، أنواع الالتزام، الأديب والالتزام، الالتزام وقضايا الإنسان، ثم خصصنا الفصل الأول للحديث عن تجليات الالتزام في الشعر العربي، وقد قسمناه إلى أربعة عناصر رئيسية: العنصر الأول كان بعنوان تجليات الالتزام في الشعر العربي، تحدثنا فيه عن الالتزام في

الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى العصر العباسي، العنصر الثاني جاء بعنوان مكانة الالتزام وأهميته في الشعر العربي المعاصر، أدرجنا فيه تأثير الالتزام في الشعر الحديث وأهميته الكبرى، أما العنصر الثالث حاولنا من خلاله إدراج دوافع الالتزام في الشعر العربي الحديث وأخيرا العنوان الرابع الذي خصصناه للحديث عن أهم شعراء الالتزام في الوطن العربي ودورهم البارز في مساندة القضايا العربية، وختمناه بجملة من النتائج التي توصلنا إليها.

ثم تطرقنا في الفصل الثاني إلى الحديث عن تجلي الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور، أين قسمنا هذا الفصل إلى ثلاث عناصر رئيسية، العنصر الأول مكانة الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور، أما العنصر الثاني دوافع الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور، أما العنصر الثالث أدرجنا فيه أنواع الالتزام في ديوان الناس في بلادي وأقول لكم، وختمناه بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع شأنه شأن أي بحث، ولعل أهمها، الالتزام في الشعر العربي لأحمد أبو حاققة، والشعر العربي المعاصر، لعز الدين إسماعيل، وما الأدب لجان بول سارتر، وفلسفة الالتزام بين النظرية والتطبيق لرجاء عيد، بالإضافة إلى ديوان صلاح عبد الصبور، وغيرها من الكتب والدواوين الأخرى التي لا يسعنا ذكرها وهي مراجع فتحت لنا الطريق لرسم خطة العمل والبحث.

وكأي بحث فقد صادفنا بعض العقبات أثناء انجازه، حيث واجهتنا عدة عقبات لعل أبرزها صعوبة إيجاد المصادر والمراجع بسبب الحجر الصحي الذي عرفه العالم بأسره نتيجة جائحة كورونا، وتدهور الوضع الصحي في بلادنا، وما زاد الأمر أكثر صعوبة عدم القدرة على اللقاء بالأستاذ المشرف، وغلق المكتبات فإكتفينا بمواصلة العمل عن بعد فقط مما سبب لنا اضطرابا نفسيا وقلقا من عدم اتمام البحث، لكن بفضل الله وكرمه علينا تمكنا من التغلب على كل هذه الصعوبات.

في الختام نشكر الله عزّ وجل الذي بفضله وفقنا على إتمام البحث المتواضع، فله الحمد أولاً وآخراً، ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ عمر قلايلية الذي تفضل بالإشراف على هذه الدراسة ولم يبخل علينا بالنصح والإرشاد طيلة فترة الدراسة.

بجاية يوم: 2020/09/28

ليدية إخلف

نعيمة إحطوفن

مدخل

الالتزام المأهية

والمفهوم

تعتبر قضية الالتزام من أهم القضايا الفلسفية والأدبية والنقدية التي أسالت الحبر ولا زالت تسيل نظرا لما تحمله من أفكار ومبادئ اعتنقها أصحابها ودافعوا عنها، وعلى هذا الأساس نجد العديد من الأعمال الأدبية تبنت الالتزام ورغم اختلاف هذا الموقف بين الأدباء أنفسهم إلا أن كل واحد منهم حاول أن يدافع عن القضية التي تبنّاها بكل ما أوتي من لغة وفكر وقبل أن نتطرق إلى الالتزام في الأدب ومراحل تطوره لابد من الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لهذه القضية.

1. مفهوم الالتزام:

للقوف على معنى كلمة الالتزام بدقة استعنا ببعض المعاجم اللغوية التي قدمت المفهوم اللغوي للكلمة.

1.1. الالتزام لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور " لزم: اللزوم معروف والفعل

لزم يلزم والفاعل لازم والمفعول به ملزوم. لزم الشيء يلتزمه لُزماً ولزوماً ولازمه ملازمة ولزماً والتزمه وألزمه إياه فإلتزمه"¹.

نلاحظ في لسان العرب لابن منظور قد ربط اللفظة بالأفعال والأسماء فحاول تبسيطها وتفكيكها في كل القوالب العربية الممكنة بكل التغييرات التي طرأت على اللفظة فوضعها رغم كل التغييرات ألا وهي لزم الشيء أي الالتزام بشيء معين وعدم الخروج عنه.

وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي " لَزِمَهُ: كَسَمِعَ، لَزُمًا وَلُزُومًا وَلِزَامًا وَلِزَامَةً وَلُزْمَةً وَلُزْمَانًا، بضمها ولَزِمَهُ شَيْئًا لا يفارقه وكتاب الموت والحساب والمَلَزِمُ حدا والفَيْصَلُ كالزم ككتف وضربته لَازِم: لَازِبٍ وَلَازِمٌ قَرَسٌ وثيل الرياحي"².

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د س، مج 12، ص 541.

² محي الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، د ط، د س، مج 1، ص 1469.

ونجد في القاموس المحيط أن هناك إضافة، حيث حاول تقريب المعنى بالأمر التي يعرفها الناس ككل مثل الأمور الدينية كالموت والحساب أو كالسمع الذي يعرف معناه كل الناس فهذه الأمور لازب ولازم فرس وثيل الرياحي وهكذا تكون لهذه اللفظة عدة معان ولكن رغم كثرة المعاني إلا أنها لم تخرج من لزم الشيء أي دام عليه.

2.1. الالتزام اصطلاحاً:

وبما أن الالتزام من المفاهيم التي اكتسحت الأدب والفنون ككل، ولها العديد من المفاهيم من الناحية الاصطلاحية سواء أكان ذلك عند العرب أو عند الغرب.

1.2.1. مفهوم الالتزام عند الغرب: يعد الفيلسوف الوجودي والناقد الفرنسي

"جون بول سارتر" (jean paul sarte) من أعظم رواد قضية الالتزام في القرن العشرين ومن هذا المنطلق يقول هذا الأخير " كلا لا نريد للرسم ولا للنحت والموسيقى أن تكون ملتزمة أو بالأحرى لا نفرض على هذه الفنون أن تكون على قدم المساواة مع الأدب"¹، نفهم من هذا أن سارتر لا يلزم على الفنون الخارجة عن نطاق الأدب أن تكون ملتزمة بل حددها في الأدب بصفة عامة، كون هذه الفنون أكثر إبداعاً باعتبارها تستخدم التلميح والإيحاء أكثر من أنها واقعية لهذا يصعب عليها أن تكون ملتزمة مثل الأدب.

وفي قول آخر "لسارتر" " هو اتخاذ رأى الأحداث التي يعيشها الكاتب على شريطه احتفاظه بحريته الفردية في الوقت نفسه أي أن التزامه تحيطه أخلاقية تمتد حتى تحل إلى جميع المسؤوليات البشرية عموماً"²، ويشير هنا إلى أن الالتزام في أصله فردي لتصبح

¹ جان بول سارتر، ما الأدب، تر، محمد غنيمي هلال، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دس، ص 9 .

² هاجر العرابوي، موقف الالتزام والإلزام من الأدب، ديوان العرب، 2018، <http://www.diwan>

هذه الفردية مكونة للمجتمع بمعنى أن الأديب لا يلتزم اتجاه نفسه فحسب بل اتجاه المجتمع ككل وعليه أن يتحمل جميع مسؤولياته ويكون صادقا ومؤمنا فيما يقوله فإن لم ينبع أدبه من ذاته فإنه يفقد الأدب المصدقية.

ويرى أيضا " أن كل إنسان -شأن أم أبنى- ملتزم في هذا العالم الذي نحن فيه "مبحرون" هو في غمار المعمة من رأسه حتى القدم، ومهما يفعل، فإنه موسوم، معرض للخطر حتى في أنأى خلوة له "1، بناء على هذا يتضح لنا أن الأديب ملتزم بمبادئه في كل حالاته مهما تغيرت الظروف التي تحيط به فهي لا تؤثر على التزامه.

وفي حين ترى "درويس نسج" (Derouis nesj) " أن مشكلة الالتزام تتحدد في مفهومها في أن الكاتب يجب أن يخضع بإرادته الفردية لإرادة المجموع الذي يعيش فيه مع ملاحظة أن هذا الاستسلام لإرادة المجموع يجب أن لا يكون كاملا "2، يتضح لنا من خلال هذه المقولة أن الالتزام لا يخضع الأديب أن يكون ملتزما خارج إرادته اتجاه قضية معينة وإنما ينبع ذلك من قناعة ورغبة في ذلك فالالتزام في أصله حرية في الاختيار ولا يمارس أي قيود.

وببين زعيم الوجوديين "سارتر" قائلا : "لا شك أن العمل الأدبي واقع اجتماعي، وعلى الكاتب -حتى قبل أن يتناول القلم- أن يكون على اقتناع به، وحقا عليه أن تتدخل المسؤولية كل جوانب نفسه، فهو مسؤول عن كل شيء "3، ينطلق "سارتر" من فكرة مفادها أن الإبداع الأدبي ينبثق من الواقع الاجتماعي وقبل أن يتناول أي موضوع أو قضية معينة

¹ أبو حاقا، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979، ص16.

² رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1988، ص147.

³ ناصر بن عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، دار الأصالة لثقافة والنشر والإعلام، ط1، 1987، ص81.

ينبع من رغبة وقناعة منه دون أن يرغم على ذلك ويكون على يقين ومدركا في إنتاجه، وقد فسره الروائي الأمريكي المعاصر "نورمان مالر" (Norman moiler) " بأنه نوع من التعاقد والارتباط خارج الذات"¹، يتوجب على الأديب الملتزم أن يمتلك موقفا يدافع عنه ويعمل من أجل الوصول إلى هدفه، فالالتزام لا يكون مرتبطا بذات المبدع فحسب وإنما يتعدى ذلك إلى معالجة قضايا مجتمعه.

ويقول أيضا "مالر" " إن الالتزام هو بمثابة طوق نجاة في خضم القدم المتصادمة في عالم اليوم تصادم أفضى إلى الفوضى"²، يعتبر هذا الالتزام بمثابة وسيلة للخروج من الأزمات والمشاكل التي تواجه العالم البشري في وقتنا الراهن.

أما الشاعر "الاسكتلندي هيو ماكد يارميد" (hidomaked yarmid) المعروف بأرائه الشيوعية، فقد ذهب إلى أن الالتزام " هو الالتزام السياسي والجهاد في سبيله وتسخير الأدب للدعوة له"³، ينفي هذا الأخير أي ارتباط بين الالتزام والقضايا الاجتماعية والإنسانية وغيرها بل خصصه في دراسة القضايا السياسية فحسب دون غيرها واعتبره الوسيلة والأداة الأولى لتحقيق ونشر المطالب السياسية.

ونهض الكاتب الهندي "خوشفات سنج" (khochevet senje) فعبر عن مفهومه للالتزام بقوله " إن الكتاب الأفريقيين والأسيويين ملتزمون فعلا في بلادهم المتخلفة والنامية بتحريرها من الفقر والتخلف، كما أنهم ملتزمون بالكشف عن شخصياتهم الخاصة بين أمم الأرض"⁴، من خلال هذه المقولة نفهم أن الالتزام في جله يتبنى كل القضايا الإنسانية.

¹ ناصر بن عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص26.

² المرجع نفسه، ص99.

³ المرجع نفسه، ص26.

⁴ المرجع نفسه، ص99.

2.2.1. مفهوم الالتزام عند العرب: يوضح توفيق الحكيم فيقول " إنما التزام

الأديب أو الفنان شيء ينبع حراً من أعماق نفسه، فإن لم ينبع الالتزام حراً من قلبه وبيئته وعقيدته فلا تلزمه أنت ولا تلزمه قوة في الوجود ! ... يجب أن يكون الالتزام جزءاً من كيان الأديب أو الفنان، ويجب أن يلتزم وهو لا يشعر بأنه ملتزم، مثله مثل حمام زاجل ينقل رسالة وهو حر طائر لا يشعر بقيد في ساقه ولا بغل في جناحه"¹، ومن هنا نجد أن الالتزام ينبع من ذات الأديب أو الفنان ووجدانه فينشأ أدبه استجابة لمشاعره وتعبيراً عن أحاسيسه باعتباره يمتاز بالقدرة على التعبير بما يشعر به من خلال إبداعه وبذلك يكون حراً بأفكاره ومعتقداته فيصبح أدبه صادقاً ونابعا من القلب.

ويقول أيضاً " الالتزام المثمر في رأي هو الالتزام الذي ينبع من طبيعته، وهنا لا يتعارض الالتزام مع الحرية بل هنا ينبع الالتزام نفسه من الحرية ! ... لذلك لم أقل يوماً الأديب أو الفنان التزم ! ... بل قلت وأقول: كن حراً !"²، وعلى هذا يؤكد توفيق الحكيم على ضرورة حرية الكاتب فالالتزام ينبع من الحرية بل يمكننا القول أنها الحرية ذاتها فإن كان الأديب يتمتع بالحرية التامة فمن الطبيعي أن يكون ملتزماً خالصاً وإن غابت الحرية عن الأديب يتعارض أدبه مع الالتزام.

ومن أبرز التعاريف أيضاً نجد قول "يونس إبراهيم أبو مصطفى" " الإلتزام يعني تقيد الأدباء في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة وأفكار معينة فإذا قيد الأديب نفسه بهذا المبدأ وقصر إنتاجه عليها فهو الأديب الملتزم"³، فهذا التعريف لم يبتعد كثيراً عن التعريف السابق والذي يؤكد أن لكل أديب قضيته الخاصة وهو الذي يختار توجهاته الفكرية ولا أحد يلزمه

¹ توفيق الحكيم، فن الأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1972، ص211.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ يونس إبراهيم أبو مصطفى، موقف النقاد من قضية الإلزام الخلفي في الشعر، شبكة الألوكة الأدبية،

https://www.alukah.net، 2012

على اختيار أي توجه أو بتعبير آخر فالالتزام مرتبط بالحرية أي حرية الاختيار ستجيب فيها لدوافع وجدانية تتبع من أعماق نفسه وقلبه.

ويوضح الدكتور "محمد غنيمي هلال" قائلا: " ويراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا وطنية وإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال"¹، أي ينبغي على الشاعر المساهمة في الدفاع عن ألام ومعاناة الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه والسعي وراء تحقيق كل طموحاتهم وأحلامهم بكل ما له من قدرة ومعرفة.

وقد جاء في موسوعة "لاروس" ما يلي: " الملتزم هو الذي يتخذ موقفا في النزاعات السياسية والاجتماعية، معبرا عن أيديولوجية طبقة ما أو حزب أو نزعة"²، ومن هنا يتضح أن التزام الأديب لا يخرج عن نطاق القضايا الاجتماعية والسياسية.

2. أنواع الالتزام:

نظرا لما يحمله الالتزام من مبادئ وقيمة فنية واجتماعية ظهرت عدة مذاهب تدعو إلى الالتزام لأنه يحقق عدة غايات وأهداف تؤثر على الإنسان المعاصر فالحركات التي تدعو إلى الالتزام لهذا لها تأثير بالغ في حياة الأفراد وتعتبر محركا قويا للمجتمع ولهذا ظهرت عدة مذاهب تدعو إلى الالتزام وإن اختلفت مبادئها وتوجهاتها فكل واحد من هذه المذاهب يدافع عن قضيته الخاصة ومن هذه المذاهب نجد .

1.2. الالتزام الواقعي الاشتراكي:

ومن أهم من دعى إلى الالتزام نجد الواقعية الاشتراكية التي كانت ترى أن الفن والأدب غاية ووسيلة من وسائل الالتزام وعلى هذا حاولت نشر مفاهيمهم الخاصة ومبادئهم

¹ ناصر بن عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص25.

² المرجع نفسه، ص28.

في الأدب " ولعل المذهب المعروف بمذهب الواقعية الاشتراكية الذي برز في هذا الزمان وبرزت معه الدعوة إلى الالتزام وفي تعاليم تلك الواقعية الاشتراكية تعتمد على التقاليد الواقعية وتجعل أساس الابتكار الفني إدراك الفنان للحقيقة الموضوعية الخيالية الذاتية الشخصية ما الشيء الذي يقرر درجة الإنتاج الفني والأدب والواقعي عموماً في الصورة الفنية من قوة وقدرة على دعم الحياة الاشتراكية"¹، تعد الواقعية الاشتراكية من أبرز دعاة الالتزام المعاصرون حيث دعوا إلى الالتزام بالقضايا الاجتماعية وتكون أعمالهم الفنية مستقاة من الواقع المعاش بعيداً عن الخيال والذاتية نحو مزيد من التقدم والتطور.

ينادي الواقعيون بشكل عام بمبدأ الفن للحياة أو الأدب الهادف " والأديب الذي يدرك مهمة عمله الأدبي ويتحمس واقعه الإنساني باعتباره عضو في الجماعة الإنسانية أقدر على استيعاب مشاكل الإنسان وأوفى في استكمال الحدود التي تلم المسافة المكانية المحيطة بهذه المشاكل وهي في كل مقاديرها وطموحها ومضامينها وتأملاتها مشاكل مستوحاة من الواقع الجديد الذي حدده له العصر"²، يسعى الأديب إلى مشاركة مجتمعه همومه وقضاياها لأنه في الأساس يبحث عن الانسجام مع نفسه ومع الآخرين.

كان الإطار الأدبي من أهم الوسائل التعبيرية الموافقة لتحقيق هذا الهدف والذي يتحقق من موقف مشترك أو عقيدة مشتركة يستوعبها الأديب " تمتاز الواقعية الاشتراكية، قبل كل شيء بالموقف الذي يلتزمه وهو باختصار الموافقة الأساسية من جانب الكاتب والشاعر والفنان على أهداف الطبقات العاملة والعالم الاشتراكي"³، إن للواقعية الاشتراكية موقفها المحدد الذي تتبناه وذلك الموقف يكون محدد من طرف الأديب الاشتراكي الذي يمتاز بنوع

¹ بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، دط، 1984، ص15.

² نور القيس، الأدب والالتزام، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، دط، 1979، ص17.

³ أبو حافة، الالتزام في الشعر العربي، ص33.

القضية التي يلتزم بها لأنه دائماً يدافع عن مبادئ وتوجهات الاشتراكية والطبقة الكادحة وطبقة العمال.

المتفحص للأعمال الأدبية التي تخص الأدباء الاشتراكيين، يجدها تمتاز بالحديث عن الطبقة العاملة والمشاكل الاجتماعية " من هنا كان الالتزام الاشتراكي في الأدب، وكان اعتبار الأديب مسؤولاً اجتماعياً واعتبار الأديب ذا وظيفة نفعية به يربي المواطنين على الوعي والتحرر والتطور والثورة والنضال في سبيل المبادئ الإنسانية"¹، فالواقعية الاشتراكية تسعى دائماً إلى توعية الناس من خلال الأدب فيحرك مشاعرهم من خلاله وهذا عن طريق تحريكه وتوجيهه للخير وخاصة فيما يمتاز به العصر من حروب وأزمات وقضايا اجتماعية عديدة فهي في الأخير تهدف إلى زرع الوعي في الأفراد وتوجيههم إلى ما هو أحسن وأنفع لهم.

2.2. الالتزام في المذهب الوجودي:

برزت مفاهيم الوجودية إلى جانب الواقعية الاشتراكية التي تنادي بدورها إلى الالتزام وتروج له" يرتبط التزام الفنان في مفهوم الوجوديين من فلسفتهم الوجودية ولذلك نعرض لها من حيث حلتها بالالتزام وهي تشتق أصلاً من الوجود أي الكينونة المحسوسة التي تسبق الماهية"²، فالأدب الوجودي يرتبط التزامه بما يوافق الوجودية وأفكارها فهي الأساس في الالتزام وهذا ما يميز أدباء الوجوديين عن غيرهم " وعندما يكتشف الإنسان الملتزم ذاتيته أي يكشف وجوده الفردي يكون في الوقت نفسه مكتشفاً معه وجود مع الآخرين بمعنى أننا ندرك أنفسنا في مواجهة غيرنا"³، فالالتزام بمعناه الوجودي مرتبط بالفلسفة الوجودية وذلك في

¹ أبو حاق، الالتزام في الشعر العربي، ص32.

² رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص140.

³ المرجع نفسه، ص141.

إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان فيصنع وجوده ويخلق ماهيته فكل إنسان هو مُعنى بالالتزام.

يعد "جان بول سارتر" أقوى مدافع عن فلسفة الالتزام وقد تحدث عن الكاتب الملتزم فيقول " وإنما أسمى الكاتب ملتزماً حينما يجتهد في أن يتحقق لديه وعي أكثر ما يكون جلاء وأبلغ ما يكون كما لا بأنه مبحر أي عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير والكاتب هو الوسيط الأعظم وإنما التزامه في وساطته"¹، أي أن الكاتب لا يكون ملتزماً إلا عندما يعي ما يدور حوله ويكون معنياً في قضية من القضايا ويساهم في نقل الالتزام بالنسبة لنفسه وبالنسبة للآخرين " وقد جعل "سارتر" من أدبه أدب الالتزام لموقف وهذا الموقف أخلاقي واجتماعي تجاه أي حدث سواء كان هذا الحدث فردياً أو جماعياً أي أن القيمة الأخلاقية والاجتماعية في الأدب في الدرجة الأولى تلي القيمة الفنية والجمالية"²، يعني أن الأديب يسخر قلمه لاكتشاف ما يدور حوله في زمان أو مكان معين مع أشياء لا قيمة لها ومن أجل الزينة والجمال.

تحتاج هذه الحياة المليئة بالاضطرابات إلى أدباء يعالجون الواقع أكثر من أن يهتموا بالشكل الفني للعمل فالموضوع يحظى بأهمية بليغة لدى الوجوديين " فسارتر يؤكد أنه بدون شك عمل الكاتب مادته اجتماعية والكاتب نفسه قبل أن يبدأ بإمساك القلم للكتابة يكون مقتنعاً أشد الاقتناع وأعمقه بأن واجبه الأساسي أو غرضه من الكتابة بما يتحمل مسؤولياته وأنه يكون مسؤولاً كل المسؤولية عن جميع الأمور من الحروب الحاضرة وحروب كاسية عن التمرد عن الردع عن القمع"³، ينبع الالتزام من وجدان الكاتب وقناعاته وعمله مرتبط بقضايا عصره وأمتة فالأديب مسؤول بأنه يقوم برسالاته الاجتماعية " بل أنه يطالب الكاتب أن يشق

¹ جان بول سارتر، ما الأدب، تر، محمد غنيمي هلال، ص 81.

² رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص 147.

³ المرجع نفسه، ص 151.

الطريق ليخلق الحاجات نحو الحرية والعدالة وأنه يرفض بشدة حشده في عجلة السلطان ليتحول إلى آلة تخدم مصالحه"¹، فحرية الأديب ضرورية ومنها ينتج الالتزام والعمل الأدبي وسيلة لخدمة المجتمع.

عفى الوجوديون الشعر من الالتزام ويقول "سارتر" " بل إن الوجوديون يفرقون بين الشعر والنحو من ناحية الالتزام فيرون أن الكتابة النثرية في مجال الالتزام للأدب ميدان المعاني إنما هو النثر، أما الشعر فلا يوجبون الالتزام فيه "²، فالكتابة النثرية عند الوجوديين هي مجال إلزامي أما الشعر فلا يوجب الالتزام فيه.

إن مدرستي الواقعية والوجودية تؤكدان ضرورة الحرية للعمل الأدبي وأنها ركيزة أساسية تشمل المدرستين، والفرق بينهما أن حرية الأديب في المفهوم الواقعي تتمثل في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية أي أنها متعلقة بالسياسة في حين الحرية في المذهب الوجودي نابعة من الذات الإنسانية.

3.2. الالتزام في الفكر الماركسي:

لم يبتعد الأديب الملتزم بالفكر الماركسي عن واقع المجتمع فنجد دائما ما يصوغ لنا كل تفاصيل الحياة الاجتماعية، فيمثل صورة عاكسة للمجتمع " إن الاحساس بمعطيات الحياة والإدراك الحقيقي لما تثيره هذه المعطيات في النفس البشرية وما ينتج عن التفاعل المستمر بينهما يمثل الصورة الأدبية في النتاج الأدبي الذي يقدمه الأديب عبر المسيرة الطويلة التي قطعها الإنسانية "³، وبهذا يرتبط الالتزام في الأدب الماركسي ارتباطا وثيقا بالأيدولوجيا لأن الأديب لا يمكنه أن يكتب إبداعه بعيدا عن مجتمعه "وعلى ذلك فهم يرون

¹ رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص151.

² بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص17

³ نور القيس، الأدب والالتزام، ص39

أن الفن إنما هو نشر فكر إيديولوجي خاص ونظرة معينة خاصة اتجاه الحياة، وفي الوقت نفسه عليه أن يتبنى موقف جماعة اجتماعية ويعبر عنها، فانه لا يمكن أن يوجد في المجتمع الانساني استقلال الفرد المطلق عن المجتمع، فمثل هذا الاستقلال ليس إلا من وحي الخيال¹، ومن هنا أكد الفكر الماركسي في نظريته للفن على العلاقة الوثيقة بين الأدب و المجتمع ومشكلاته حيث لا يمكن للأديب أن يفصل نتاجه الأدبي عن الأيديولوجيات السائدة والواقع بشتى قضاياها وصراعاته.

يرى التيار الماركسي أن الفن الحقيقي هو الذي مفاده ببساطة عرض الظلم الاجتماعي والاقتصادي وتضارب الطبقات المتصارعة لهذا " آمن الماركسيون بنظرية فكرية مؤادها ان الفن يعبر عن مجموعة من المبادئ والمعتقدات الخاصة لطبقة من الطبقات أي أن الفن المعترف به في نظرهم هو ذلك الخادم المخلص للثورة ومتطلباتها²، فقد انخرط الكاتب في الالتزام بالدعاية للطبقة والحرب وتطوير الواقع السياسي الاجتماعي والاقتصادي بحيث كانت غاية المساهمة في معركة اليقظة ودفع المجتمع نحو الثورة من أجل تحقيق العدل والمساواة والحرية الاجتماعية.

بناء علي ما سبق تبين لنا أن الالتزام في الادب الماركسي مرتبط أشد الارتباط بالحركات السياسية والأيديولوجيات المختلفة، فالمعروف عند الماركسيين دفاعهم عن الطبقات الكادحة، وطبقات العمال حيث كانوا ضد البرجوازية والملكية الخاصة

4.2. الالتزام في المفهوم الإسلامي:

يستند الالتزام في المفهوم الإسلامي إلى مبادئ قرآن الكريم والسنة المطهرة عمل مرتبط بالنية الصادقة والعزم بقيم الحياة الإسلامية وقوانينها وأحكامها ليربط بذلك الحياة الدنيا

¹ رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص129

² المرجع نفسه، ص126

بالآخرة " والتوجيه نحو الالتزام في الأدب الإسلامي ينبع من مجموعة التوجيهات القرآنية النبوية التي حثت المسلم على أن يراعي ما يصدر عنه من قول لأنه محاسب عليه بين يدي الله¹، هكذا يكون الشاعر والأديب الإسلامي مرتبط بقواعد الإسلام وتوجيهاته وتبقى رسالته الأدبية مشحونة بقيم الإسلام ومبادئه.

لا يخرج الأدب الإسلامي عن القيم التي رسمها الإسلام لأنها تسكن في دواخله يلتزم بهذه المبادئ بكل قناعة وصدق "والالتزام في الأدب الإسلامي لا حدود له وهو الفرض على الأديب موضوعا معيناً أو جمهوراً خاصاً، إنه يستطيع أن يلتزم أي قضية وليس لهذا الالتزام إلا ضابط واحد، هو موطأة الحق بمعناه العقدي العام والتعبير عنه كما يراه الإسلام، وكما تظمن له الفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله الناس عليها²، فأينما وجد الحق دافع عنه الأديب والشاعر الإسلامي، فلا يهمه العرق أو الجنس فالأديب الإسلامي رسالته كرسالة الإسلام تدعو إلى الحق وأعلى مكارم الأخلاق ولهذا نجد أن الأديب الإسلامي أينما وجدت القضايا العادلة وجد هو فيه وسخر قلمه لخدمة هذه القضايا فهو يمثل التصور الإسلامي وتصور مبادئ الإسلام.

وينبع الالتزام من الحياة والفرد والجماعة فهو الذي ينظم الحياة البشرية وبه تستقيم حياة المجتمع والإسلام يحتوي على تعاليم وآفاق دينية تهدف إلى الخير ومنه يسعى الالتزام والعقيدة الإسلامية في خدمة المجتمعات، هدفها سعادة الأفراد وحل مشكلات الشعوب " فإن الالتزام في الأدب الإسلامي واسع رحب، إنه التزام العقيدة الإسلامية بكل ما تنطوي عليه من عالمية وشمول وصدور عن تصوراتها للكون والحياة فهو ليس طبقياً أو فئوياً إنه الالتزام بقضايا الإنسانية عامة لها صفة الديمومة والخلود التزام الخير والحق في أشكالها

¹ عطا الله رجا محمد، شعر الاتجاه الإسلامي في الأردن، إشراف، محمد أحمد المجالي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 1997، ص18، (181).

² وليد إبراهيم قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008، ص32.

المجردة المطلقة والدفاع عنها حيثما وجد وعنه من وجدا "1، فالالتزام الإسلامي غير محدود بل هو يشمل كل ما تحتويه العقيدة الإسلامية وهو يلتزم بقضايا الإنسان بكل أنواعها يسعى وراء تحقيقها وديمومتها.

لم يقتصر التزام الأديب على رؤية الاسلام فقط بل شمل عدة جوانب أخرى كظروف الانسان ومعاناته وغيرها من الأمور وهذا ما يتضح في هذا القول " أما الأديب الملتزم التزاما ثقافيا برؤية إسلامية فهو الأديب الذي يعبر عن المفاهيم الإسلامية أو التصورات الإسلامية الشاملة لجوانب الحياة كلها تعبيرا فنيا رائعا فأراه ملتزما وهو يتحدث عن العقيدة وأراه ملتزما وهو يتناول علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وأراه ملتزما عندما يعبر عن الحياة والمعاناة وعن فرحه وحزنه انشراحه وغمه "2، الالتزام هنا هو الالتزام ثابته وأصول لا يمكنها أن تتغير، يؤدي الأديب فيها دوره في الحياة ويواصل الرسالة الصحيحة لأنه جزء من طبيعة الذين يلتزمون ومسؤولية من مسؤولياته ، لا يختلف الالتزام في التصور الإسلامي عن الواقعية الاشتراكية والوجودية في أن الحرية هي أصل ومنبع الالتزام، والالتزام في المفهوم الإسلامي لا يتنافى مع الحرية وتعد من أهم حقوق الأديب المسلم.

لا يمكن أن يكون الالتزام الإسلامي ضد الحرية فهو جزء منها " وإن الأدب والالتزام الأدبي الإسلامي شامل لكل ضروب الكلام سواء أكان شعرا أم قصة أم مسرحية أم خطبة أي سواء كان شعرا أم نثرا إنه ليس مقصورا على الشعر وحده كما زعم سارتر فيلسوف الوجودية بحجة وهمية وهي أن الشعراء يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية وأن الشعر يخدم اللغة على حين أن اللغة تخدم النثر"3، بحيث أن النثر لا يعد وحده مجالا للالتزام في الأدب

¹ وليد قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ص31.

² محمد رأفت سعيد، الالتزام في التصور الإسلامي للأدب، دار الهداية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص9.

³ وليد إبراهيم قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ص34.

الإسلامي وإنما يشمل الشعر أيضا عكس ما روج له أصحاب الفكر الوجودي في قولهم أن الشعر لا يمكنه أن يكون مجالا للالتزام.

3. الأديب وقضية الالتزام:

يعتبر الالتزام من أبرز المواضيع التي برزت في الساحة الأدبية والنقدية حيث ظهرت فئة من الأدباء والفلاسفة أهمهم الفيلسوف الوجودي "جان بول سارتر" والماركسي "كارل ماركس" دعموا هذه الفكرة وتبنوها بكل ما امتلكوه من فكر وأراء ومن ناحية أخرى ظهرت فئة معارضة تناقض الالتزام وجعلته نقيض للحرية وتبعد الأدب عن غايته الجمالية وحتى أنها ترفض أن يمتلك الأديب أي غاية.

نظرا لظروف الإنسان الحديث والتطور الذي شهدته الإنسانية بصورة عامة وهذه الحركة السريعة التي شهدها العالم وجب على الإنسان المعاصر أن يلتزم في بعض القضايا وعلى الأقل فيما يراه مناسباً لأفكاره لأن في الأخير الأديب هو الذي يختار توجهاته ولا يفرض عليه أي توجه " والالتزام وجهة نظر يدافع عنها الفيلسوف ويدل عليها بكل الوسائل الفكرية والجدلية التي يحوزها"¹، فهذا يدل على الحرية التي يمتلكها أي أن الأديب الملتزم لا يقيد بل يختار توجهاته فلماذا اختار مشاكل العصر الحديث ليعبر عنها فتكون مادة في كتاباته.

وهذا نظرا لما شهدته هذا العصر من تدهور أخلاقي نتيجة التطور التكنولوجي رغم ما وصل إليه الإنسان من تطور اقتصادي إلا أن هذا التطور لم يزد إلا غربة ووحدة فيشعر الإنسان دائما بأنه وحيد " فرغم التطور الاقتصادي فالحقيقة أن الحياة الحديثة كئيبة

¹ هيرمان نورثروب فراي، في النقد والأدب والأسطورة، تر، عبد الحميد إبراهيم شبيحة، مطابع الدجوى، القاهرة، دط، دس، ص 109.

وطاحنة"¹، ونتيجة لهذه الظروف المحيطة بالإنسان المعاصر والحرب العالميتين التي أفسدت كل شيء في العالم، والتي نزعّت من الإنسان إنسانيته أدى إلى ظهور عدة مدارس أدبية تدافع عن الالتزام، يرون فيه ضرورة من الضروريات الإنسانية لتخطي كل ما أصيب به الإنسان، ومن بين هذه المدارس التي ظهرت نجد الواقعية الاشتراكية التي كانت تدافع عن الإنسان المظلوم في العالم أجمع وخاصة العمال فاستطاع هؤلاء " أن يجدوا في مأساة الإنسان المعاصر مصدر إلهام يحفزه على أن يصارع ما امتلأت به البذاءة والنفاق "²، فاتخذوا من هذه المشاكل مواضيع لأعمالهم الأدبية وحاولوا إظهارها للمجتمع ويقدموا بعض الحلول والأسباب التي أدت إلى مثل هذا النوع من الأزمات.

لم يكتف الاشتراكيون من إظهار هذا المرض الذي أصيب به الإنسان بل حاولوا أن يدفعوا به نحو التحرر من هذه القيود التي تطبق عليه " فإذا كانت المؤسسات الاجتماعية تقف غالبا في طريق الفرد حين يعبر عن ذاته، فإن العلاج هو أن نهجم هذه المؤسسات وأن نعمل على هدمها "³، بهذا يكون الالتزام أو أدباء الالتزام يدفعون المجتمع إلى التحرك وتغيير ما هو فيه وأن يكون الأدب ذو منفعة للمجتمع وتكون له غاية " ولعل من أبرز ملامح الواقعية تتبلور في إعطاء المزيد من الاهتمام الفني بالواقع المعيش والدفاع عن كيانه بتمجيد الناحية الايجابية وعلى الوجه الخصوص طبقة العمال "⁴، فمعظم أدباء الاشتراكيون أعطوا طبقة العمال أهمية كبيرة في أعمالهم الأدبية والإبداعية وحاولوا تصوير واقع العمال ومأساتهم في هذه الأعمال.

¹ هيرمان نور ثروب فراي، في النقد والأدب والأسطورة، تر، عبد الحميد إبراهيم شيحة، ص120.

² المرجع نفسه، ص124.

³ المرجع نفسه، ص118.

⁴ رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص125.

ومنه يكون العمل الأدبي له غاية نبيلة وهدف، وكان جانب الموضوع وتصوير الواقع الاجتماعي أهم ما تطرق إليه الأدباء الاشتراكيون " وعلى ذلك الفن يكون ملتزما من الوجهة الشرعية إذا عرف مساره الحقيقي إذا تدخل في المجتمع كقوة ثورية تعمل على منحه العطاء الثوري"¹، تهدف الواقعية الإشتراكية إلى تصوير الحياة بشكل عام والاهتمام بشؤون الحياة العادية اليومية وبالتالي فإنها منحت اهتمامها كثيرا للطبقة العاملة ومدى ضرورة تناول الأديب هموم هذه الطبقة وبهذا الفهم يؤدون إلى ربط الأدب بالحياة العامة وينكرون نظرية الفن للفن.

ظهرت مدرسة أخرى غير الاشتراكية تدافع وتحمل الالتزام وهي الوجودية والتي تنفي الارتباط بأي إيديولوجية معينة عكس البرجوازية والماركسية، الوجودي حر في اختياره ولا يفرض عليه أي مذهب فإن تبنى أي إيديولوجية فهي عن طريق قناعاته ففي الأخير "قالأديب لا يعيش معزولا عن المجتمع أو لا ينبغي أن يعيش في برج عاج بل أنه ثمة علاقة تفاعل بالتأثير والتأثر قائمة بينه وبين مجتمعه"²، رغم كل الحرية التي يمتاز بها الوجوديون إلا أنهم يسلكون طريق الالتزام ويختارون لأنفسهم ما يراه مناسبا من أجل الإنسان المعاصر الذي يتخبط في مجموعة من المشاكل المتعددة.

شارك الأدباء الوجوديون "كجان بول سارتر" في عدة قضايا دولية في العالم "فالكاتب الإلزامي يدرك أن الكلام عمل ويعلم أن الكشف نوع من التعبير وأنه لا يستطيع الكشف عن الشيء إلا حين يقصد تغييره"³، هكذا كان أدب الالتزام يكشف عن قضايا العصر والمشاكل التي تصيب العالم أجمع دون محايدة فهذا ما امتاز به الوجوديون وحتى الاشتراكيون الذين دافعوا عن القضايا السياسية التي كانت تتخلل العالم وظروف العمال والاضطهاد " فيعود

¹ رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص125.

² هيرمان نور ثوب، في النقد والأدب والأسطورة، تر، عبد الحميد إبراهيم شيحة، ص110.

³ بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص18.

مثل ذلك التوجه أن الدعوة المعاصرة إلى الالتزام في الأدب والفنون دعوة سياسية في حقيقتها¹، وهذه الدعوة من أجل التغيير وإخراج الناس من هذه السيطرة السياسية والاقتصادية التي فرضت على الإنسان فهذا هو حال أدب الالتزام يحمل في طياته النفعية ويراد به إنارة العقول وتحريك الناس لما هو أفضل وأحسن.

كان للمدارس الرومانسية اختلاف في توجهاتها وأرائها في بعض الحالات التي تخص الإنسان العربي المعاصر وحاولوا أن يدافعوا عنه من الاضطهاد الذي يمارس في حقه، فالتزم على هذا أدباء العرب فعبروا عن كل الطبقات الفقيرة والمهمشة في العالم العربي " إذن فالأديب الذي هو أديب ليس إلا رسول بين نفس الكاتب ونفس سواه، والأديب الذي يستحق أن يدعي أديبا هو يراود رسوله من قلبه ولبه"²، فالأديب عبارة عن رسول الذي يحمل رسالة النور ويزيل الضباب عن عامة الناس ليبرهم النور والحقوق التي فقدوها من خلال كل تلك الولايات التي عاشوها وعانوا منها من طرف المستعمر والممارسات التي طبقتها الحكومة المستعمرة والقامعة.

وجد الرومانسيون أنفسهم يلتزمون، نظرا لما تركته من أثر في نفسيتهم إثر تعدد القضايا التي تعرض لها الإنسان العربي كان أول محور لهذه المدرسة هو الإنسان " فكل ما يكتبه الإنسان إنما يدور حول محور واحد هو الإنسان حول هذا المحور تدور علومه وفلسفته وصناعته وتجاربه وفنونه وحول هذا المحور تدور آدابه"³، فكل ما شغل الإنسان شغل الأديب وحاول أن يعطي له حلول وأن يدفعه إلى ما هو أحسن من حاله، فنجد "مفدي زكريا" حث على الحماسة لثوار الجزائر كذلك "أبو القاسم الشابي" في تونس، هذا هو

¹ بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص16.

² ميخائيل نعيمة، الغريال، دار النشر نوفل، دب، دط، دس، ص26.

³ المرجع نفسه، ص25.

الالتزام بمختلف مدارسته التي حاولت أن تبرز عدة قضايا متعددة حول العالم فالأدب ذو غاية عالمية.

رغم ما حملته الالتزام من نفع للأدب بصفة عامة وحتى الفنون الأخرى ورغم أن الالتزام لا يقيد الأديب بل يعطيه كل الحرية، لم يمنع هذا من ظهور معارضين للالتزام ومن بين المعارضين نجد مدرسة الفن للفن أو البرانسية.

تعود جذور هذه المدرسة أو الإرهافات الأولى لها لأرسطو عندما رفع من قيمة الشعراء " فأرسطو يرفع من قيمة شأن الشعر والشعراء ويجعلهم عباقرة يقبل ما يقولون دون مراجعة مناقضا بذلك أفلاطون الذي هاجم الشعراء ولم يبق منهم إلا من يعنون بالتهذيب وتمجيد الآلهة ومدحهم"¹، ومن أفكار أرسطو هذه كانت البدايات الأولى لهذه النظرية لكن هذه النظرية لم تلق النور حتى سقطت الكنيسة والقيود التي تحملها وإجبار الأدباء للعمل على تعاليم الكنيسة فبعد زوالها تحرر الأدباء كلياً من هذه السلطة القمعية.

ترى هذه النظرية أن على الأديب أن لا يكون له أية خلفية اعتقادية، دينية أو سياسية والتي كانت تدعو إلى حرية الأعمال الأدبية من أي منفعة وخدمة ولهذا " فإن الفن للفن عمل يهدف إلى المنفعة الجمالية الخالصة أي أنه حر لا غاية وراءه سوى اللغة الفنية دون ما قد يلتبس به من أفكار وفلسفات أو أخلاق أو قيم اجتماعية أخرى"²، ولهذا يكون الأدب أو الفن بصفة عامة خال من أي منفعة وغاية تخدم المجتمع بل غايته الوحيدة هي الجمالية الفنية التي تخدم الأدب " فالمضمون ينل وسماً.... لا يصنع عملاً أدبياً من غير تدخل يد الفن الصناع التي تحيل هذا الفكر إلى أدب رفيع"³، فبدون هذا الفن والجمالية التي يحملها

¹ وائل بن يوسف العريني، الفن للفن، شبكة الألوكة الأدبية، 2007، <https://www.alokh.net>

² المرجع نفسه.

³ وليد إبراهيم قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ص 80.

الأدب لا يستطيع أن يكون أدبا إلا في طريق هذه الجمالية التي يحملها وأن الأدب يكون جميلا وممتعا عندما تكون مادته تدور حول ذاته ولا يختلط بأي شيء خارجي " ووصف نص من نصوص الكلام بأنه أدب يعني حينما استوفى مجموعة من الخصائص الجمالية والشروط الفنية وغير الأسلوبية التعبيرية التي تسمى أدبا إلا بها وهي تميزه من القول العادي أو الكلام العلمي وتمنحه جواز مرور إلى مادته الأدبية"¹، ولهذا يكون على الأديب أن يعمل خصائص فنية جمالية وإلا سيكون بمثابة أي كلام يقوله الناس ولا يفرق بين المبدع والإنسان العادي.

يعد هذا المنهج نقيض الالتزام لأنه يرى أن الالتزام يفيد الأديب وأن يكون بتوجه أيديولوجي أو ديني أو غيره لهذا يرون أن الالتزام نقيض للحرية فيرى " أصحاب هذا المنهج أنه تحقيق للحرية يوم أن سلبت المناهج الأخرى بفعل الالتزام كما هو الحال مع الماركسية والأدب الإسلامي والوجودية وغيرها من المناهج الأدبية الملتزمة وأيديولوجية معينة"²، فالفن يحمل منفعة وجمالا خالصا للأعمال الأدبية يتبنى أنواعها وأنه لا ينبغي أن يشترك في أي غاية أخرى أو هدف أو أي عمل إنساني لأن هذا ينقص من عمله ويفقده الجمالية الأدبية الخالصة.

تعتبر هذه النظرية ورغم زوالها المبكر إلى أنها مهدت لعدة مدارس أخرى كالشكلايين الروس والبنوية والأسلوبيين والذي اهتموا بالأدب على أنه مادة بحد ذاتها ولا يرتبط بأي عوامل خارجية أخرى.

¹ وليد إبراهيم قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ص74.

² وائل بن يوسف العريني، الفن للفن، شبكة الألوكة الأدبية، 2007، <https://www.alokh.net>

رغم أن في الحقيقة الأعمال الأدبية هي أعمال يجب أن تحمل الصبغة الجمالية والفنية لكن هذا الجمال يجب أن يحمل مجموعة من الأهداف لأن الأديب يعتبر كوسيط بين الإنسان ولأن عليه أن يوصل مجموعة من الرسائل و الرؤى فكما قالت نازك الملائكة " إن الرابطة ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قرار العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الأدب رسول لا معرضاً للأزياء اللغوية والبهرجة العروضية"¹، فالأدب في آخر المطاف يجب أن يحمل رسالة وغاية في موضوعاته ولا يهتم بالجانب الجمالي فقط فالأدب يستطيع أن يكون ذا موضوع هادف وذا جمال فائق في الوقت نفسه.

4. قضايا الإنسان المعاصر في الأدب:

يعد الأدب صورة عن الواقع الاجتماعي والإنساني ومرآة تعكس حياة الإنسان فكان للأدب دور فعال في التعبير عن قضايا عصره وواقع مجتمعه وأحواله ومواقفهم الوطنية الاجتماعية، السياسية والثقافية دون أن يقال له ذلك أو يحتم عليه الدفاع عن مختلف قضايا الإنسانية.

يكون التزام الأديب نابعا من أعماق نفسه ووجدانه فبذلك يربط أدبه أو فنه بحياة الجماعة وحركة الحياة " يأخذ الأديب مكانته في مجتمعه من خلال موقفه المناسب الذي تضعه فيه قدراته على التعبير وإحساسه بمدى التعبير عن المشاعر التي تختلج في نفوس أبناء قومه ومدى تعاطفه مع طموح الجماهير التي استطاعت أن تحدد موقفها من خلال تجربتها الطويلة وفي حدود هذا الموقع يستطيع الأديب أن يأخذ موقع ويحدد موقفاً ويبدأ تحركاً لتحقيق ذلك الطموح"²، يمتلك الأديب ملكة الإحساس فيما يصيب مجتمعه من مشاكل ومعاناة وآلام ويجيد لغة التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وهذا أمر طبيعي حيث أن

¹ ميخائيل نعيمة، الغريال، ص26.

² نور القيس، الأديب والالتزام، ص13.

الأدباء هم أصحاب الفكر والثقافة فينشرون مفاهيمهم وأرائهم والدفاع عنها وتجسيد معاني الإنسانية وصياغتها من صميم الواقع " فعلاقة الفن بمجتمعه باعتبارها علاقة جذرية تجعله مسؤولاً عن تقدم مجتمعه وتأخره باعتباره مشاركا فيه وباعتباره مؤثرا فيه"¹، يجب أن تكون علاقة الأديب بمجتمعه علاقة تفاعلية يتأثر بمشاكل محيطه الاجتماعي ويكون واع بقضايا أمته ومؤمن بمعالجتها.

الأديب لا بد أن لا يكون معزولا عن مجتمعه فعليه أن يعيش تجربة عصره ويعكسها في أعماله، ويرى الدكتور "شوقي ضيف" " أن الفنان لا يستطيع فهم الحياة إلا أن شارك مجتمعه وتصور إنسانيته مشكلات هذا المجتمع وساهم في هذا الصراع الحيوي الذي يعيشه مجتمعه فيقول وفي رأينا أن الأديب لا يفهم الحياة حق الفهم نافذا إلى أعماقها الإنسانية إلا إذا ناضل مع مجموع اجتماعي من ناحية وتصورا إنسانيا من ناحية أخرى"²، يؤكد شوقي ضيف على ضرورة مشاركة الأديب قضايا مجتمعه كما وجب عليه فهمها والدفاع عنها لكون ابن قومه ووعيه بما يدور حوله " فإذا كنا نطالب الأديب اليوم بالمضمون الاجتماعي فلسنا نريد أن نضطره إلى ذلك اضطرارا و ليس من حق أحد عليه أن يجبره على لون معين من الكمالية ولا أن يلزمه برأي خاص من الآراء"³، فالمجتمع لا يرغم الأديب الدفاع عنه إنما الأديب هو الذي يكرس أدبه أو فنه من أجل الإنسانية باعتبار المجتمع لم يخلق من أجل الأديب بل الأديب هو الذي خلق من أجل خدمة المجتمع وأخذ على عاتقه عبئ هذا الأخير.

لم يقتصر الالتزام على النصوص النثرية أو الفنون التشكيلية فقط بل شمل كل الفنون ومن بينها الشعر، يعتبر الشعر شكلا من أشكال الأدب وأنه وجد منذ وجود الإنسان والشعر

¹ رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص 93.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ المرجع نفسه، ص 95.

إذا " رافق الإنسان من أول نشأته وتدرج معه منذ مهد حياته حتى ساعته الحاضرة"¹، وبهذه الصحبة الطويلة والرفقة بين الشعر والإنسان كان لا بد للشاعر أن يتخذ في عدة مراحل من حياته مواقف توافق أفكاره.

الشاعر هو ذلك الشخص الذي يعبر عن أفكاره الإنسانية بلسانه وكما هو معروف الشاعر لسان القوم بما أن ليس الكل يملك هذه الملكة اللغوية يبني الشاعر أو الأديب مواقف عدة ليظهر لنا أزمات ومأساة الإنسان " كلنا - للأسف الكثيرين بيننا - لم نُخلق شعراء نعط موهبة ترجمة القلوب والأرواح والطبيعة، لذلك كثيرا ما نضطر أن نعبر عن عواطفنا وأفكارنا وإحساساتنا بألسنة الغير"²، ولهذا يكون الشاعر مسؤولا في تبني هموم الإنسانية بفضل هذه الملكة اللغوية التي بحوزته تعطيه القدرة على التعبير عن الأفكار وتميزه عن الإنسان العادي ويدفع الإنسانية نحو الأفضل " الشعر هو غلبة النور عن الظلمة، والحق على الباطل هو ترنيمه البلبل ونوح الوُزق، وخرير الجدول وقصف الرعد، هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلي"³، انطلاقا من هذه السمات التي يحملها الشعر من أهداف وغايات وما على الشاعر أن يكرس جل أعماله الفنية في معالجة الأمور التي تشغل فكر الإنسان ولا يوجد أمامه أي سبيل ليبعده عن الالتزام بها.

لا يخلو الأدب العربي من الاهتمام بقضايا الإنسان المعاصر " إن الإنسان العربي هو صاحب القضية في وطننا الكبير وهو الذي يملك القدرة على استيعابها لأنه يعيش في إطارها ويتحرك من خلالها ويرصد كل السلبيات التي استهدفت وجودها، ولا يمكن للإنسان آخر أن يحتل موقفه ويقف موقفه إلا من خلال التعاطف الإنساني المشابه الذي عانتته

¹ ميخائيل نعيمة، الغريال، ص77.

² المرجع نفسه، ص79.

³ المرجع نفسه، ص76.

الشعوب الأخرى¹، لا شك في أن استيعاب الإنسان العربي للقضية التي تحيط به أمر ضروري فهو جزء لا يتجزأ من أمته هو الذي يقدر على معرفة مشاكل الإنسان والتعبير عن همومهم وتطلعاتهم متحسسا بالأحداث التي تحيط بهم.

وقد عالج الشعراء مختلف القضايا العربية " ولعل قضية فلسطين والخليج العربي والمؤامرة في لبنان ومسألة النفط ومستقبل المنطقة العربية ومن يقف وراءها تمثل النماذج الحادة في عالمنا العربي"²، كانت معظم النكبات التي شهدتها المجتمع العربي والتي جاءت متتالية على رأسها القضية الفلسطينية التي هزت الضمير العربي وغيرها منطلق استيعاب وإحساس الأديب العربي بالواقع المرير الذي تمر به هذه الأمة " لقد آن للأدباء أن يجعلوا القضايا الحادة محاور أعمال أدبية عظيمة وأن لهم أن يقدموا الاستسلام والخشوع وتصفية صور الرفض والمقاومة والفداء وهي صور ترسم فوق الأرض العربية كل يوم وتمثل واقعا محسوسا في كل مدينة وقرية ومستعمرة"³، يحمل الأدب العربي المعاصر في طياته أبعادا إنسانية تحريرية ويرجع ذلك إلى السياق التاريخي الذي عرفته الأمة العربية والذي ترك بصمات واضحة على هذا الأدب، وخصصوا القضايا الإنسانية والوطنية بجانب كبير من أعمالهم الأدبية المختلفة سواء كان ذلك في النثر أو الشعر.

جسد شعراء العرب مأساة هذا الشعب العظيم وانخرطوا في موجة الأدب للحياة " إن الأديب صاحب القضية يملك المقومات الحقيقية للأدب ويملك الوسائل الإنسانية المبدعة للأخر والإخراج المناسب ويملك القدرة على استيعاب الفكرة التي تساعد عمله الأدبي الانطلاق والبقاء والاستمرار"⁴، الأديب لا ينطلق من فراغ أو عدم إنما يحمل في ذهنه معرفة

¹ نور القيس، الأدب والالتزام، ص 9.

² المرجع نفسه، ص 10.

³ المرجع نفسه، ص 16.

⁴ المرجع نفسه، ص 17.

سابقة تمكنه من الكتابة بشكل دقيق ومتميز يتناسب مع عمله الأدبي " والأديب الذي يدرك مهمة عمله الأدبي ويتحمس واقعه الإنساني باعتباره عضو في الجماعة الإنسانية أقدر على استيعاب مشاكل الإنسان وأوفى في استكمال الحدود التي تلم المسافة المكانية المحيطة بهذه المشاكل وهي في كل مقاديرها وطموحها ومضامينها وتأملاتها مشاكل مستوحاة من الواقع الجديد الذي حدده له العصر"¹، ومن ظروف الواقع المعاش استوحى الأدباء مواضيع التزامهم قصد معالجة مختلف القضايا الإنسانية.

يسعى الأديب إلى مشاركة مجتمعه همومه وقضاياها لأنه في الأساس يبحث عن الانسجام مع نفسه ومع الآخرين وكان الإطار الأدبي من أهم الوسائل التعبيرية موافقة لتحقيق هذا المدى والذي يتحقق من موقف مشترك أو عقيدة مشتركة يستوعبها الأديب.

¹ بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص 19.

الفصل الأول

تجلي الالتزام في

الشعر العربي

1. تجلي الالتزام في الشعر العربي:

يعتبر الالتزام شعورا يولد مع الانسان فيعيش معه في داخله دون أن يشعر بأنه يظهر للعيان بعد نضج الانسان ونضج ذلك الشعور وهذا ما يفسر تعدد المبادئ لدى الإنسان، ولكل مبدأه وتوجهه في الحياة وبهذا يدافع عن هذه المبادئ بكل الطرق السانحة لذلك وهذا ما يفسر وجود الالتزام منذ الأزل وليس في عصرنا هذا فقط، فمثلا عند العرب وجد منذ الجاهلية لكن لم يعرف بهذه الفلسفة العميقة التي انتشرت في الغرب، ولم يعرف كمصطلح اعتنى به مجموعة من الباحثين والنقاد بل كان كسلوك وقيمة اتخذها الشعراء بصفة خاصة بدون وعي ولهذا كان لكل شاعر قضيته ولكل شاعر وتوجهه الخاص به.

وعلى هذا كانت ملامح الالتزام موجودة منذ زمن بعيد وليس في وقتنا الراهن فقط ومن هنا نحاول استعراض تجليات الالتزام عند العرب.

1.1. الالتزام في الشعر الجاهلي:

كان للشعر مكانة وأهمية بالغة في الجاهلية لأن الشاعر كان يحظى بمكانة عالية، وعندما ينبغ شاعر ما تقيم له القبيلة مآدب وحفلات فكان الشاعر لسان القوم مرتبط أشد الارتباط بمبادئ وقيم القبيلة مما أدى به إلى أن يكون ملتزما بقضايا قبيلته.

وتمثل الالتزام في العصر الجاهلي في بعض المواضيع والتي كانت النواة الأولى للالتزام " تتحصر المثالية التي يمكن اعتبارها نواة ايديولوجية في ثلاثة أمور هي الولاء للقبيلة والفروسية والقبيلة ما تنطوي عليه من مناقب خلقية ومن هذا المثل ينطلق الشعر الجاهلي الملتزم"¹، ومن هذا الأساس يتبين لنا أين يكمن الالتزام لدى شعراء هذا العصر وأهم المواضيع التي تطرقوا إليها من إخلاص ووفاء للقبيلة التي ينتمي إليها والدفاع بلسانه

¹ أبو حاققة، الالتزام في الشعر العربي، ص 62.63.

في حروبها وعن مشاكلها فيرفع بذلك من شأن قومه والافتخار بأخلاقهم " وطبيعي في مثل هذا الجو أن يعرف الشعر الجاهلي التزاما قبليا فيضمن الشاعر شعره قيم مجتمعه القبلي ويكون الناطق باسم قبيلته والمدافع عنها والناصح لها، والموجه لأبنائها، والداعي في السلم والحرب والتحالف والمؤرخ لوقائعها والمتعني بانتصارها والمدير لشؤونها عند الملوك، والممثل لها في الاجتماعات والمواسم"¹، بمعنى أن الشاعر الجاهلي كرس جل وقته وشعره في خدمة ومعالجة أوضاع القبيلة والدفاع عن مبادئها لأن الشاعر هو المحرك الأول للقبيلة.

ومن هنا يكون الشاعر قادرا بلسانه أن يشعل حربا كما يمكن له أن يخمدتها ويزرع أخلاقا وصفات في نفوس القوم، فهم يعتبرونه المدبر لشؤونهم " أما الولاء للقبيلة، فقد جعل الشعراء يلتزمون قضاياها في كل حين"²، الشاعر الجاهلي أوجب على نفسه نشر أمجاد القبيلة والإشادة بها وتدوين مفاخرها للأجيال اللاحقة " غير أن العصر الجاهلي قد عرف عددا من الشعراء الذين التزموا الدعوة إلى السلام وساء لهم أن سفك الدماء في الحروب، فتجرّ الويلات على المحاربين الذين لم يكونوا يسقطون من حسابهم قضية الثأر وواجب القيام به"³، يملك شعراء العصر الجاهلي دور بارزا في ارساء معالم الوحدة والسلام بين القبائل وتشجيع أفراد القبيلة لتجنب كل ما يحيل إلى نشوب الحروب وسيل الدماء إلا أنهم لم يتخلوا عن فكرة الانتقام من العدو.

نتيجة الحروب التي عرفها هذا المجتمع القبلي البدائي أسهمت في بلورة الفروسية وبذلك فإن الشاعر الجاهلي لا يقتصر على تصوير الشجاعة والافتخار وحماية الديار وخير مثال للفارس الشجاع والشاعر الفذ عنتر ابن شداد " وقد برزت في الشعر الجاهلية آداب

¹ أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص 63-64.

² المرجع نفسه، ص 63.

³ المرجع نفسه، ص 65.

الفروسية ومقوماتها وكان الشعراء الفرسان يلتزمون بها ويتغنون بها في قصائدهم¹، لقد جعل شعراء هذا العصر من الفروسية موضوعاً لأشعارهم كما أن لها دور فعال في سيرورة الحركة الشعرية وهي أداة مثلى للاعتزاز والافتخار بمختلف البطولات التي حققوها.

كان عنتر بن شداد أهم من مثل الفروسية في العصر الجاهلي بكل أصوله وهذا ما يتجلى في معظم قصائده:

إني لتعرف في الحروب مواطني في آل عبس مشهدي وفعالي
منهم أبي فهم لي والد والأم من حام فهم أخوالي²

حيث تبين لنا في شعره كل المقومات التي كان الفرسان يعملون بها في ذلك العصر، ولهذا كان للفارس الشاعر الجاهلي مكانة مرموقة وصوتا مسموعا حيث أن شعره يعكس كل ما يقوله، فالصفات التي ينسبها لنفسه حقيقية وليست من وحي الخيال " وإنما كان الفارس الجاهلي صورة أخرى لنموذج الرجل الكامل"³، فالشاعر الكامل هو الذي يتصف بعدة صفات أهمها الفروسية والدفاع عن مبادئ القبيلة، فتقاس رجولته بمدى فروسيته " لقد كان الجاهليون يهتمون كثيرا بالشعر، ويحفظونه ويتناقلونه، فكانت قصائد الشعراء بمثابة غذاء روحي للقوم تطربهم وتنقفهم وتشارك في تكوين أخلاقهم وشخصيتهم، ووجدانياتهم، من هنا كان الدور الخطير الذي يقوم به الشاعر الجاهلي في مجتمعه، وكانت أهمية الالتزام فيه"⁴، كان الشعر الجاهلي في معظمه وظيفة يمارسها الشعراء وهي بمثابة مدرسة يستفيد منها القوم في شتى مجالات حياتهم وعلى الشاعر أن يكون ملتزما في شعره لأنه يؤدي دور كبير وفعال في تنمية وتطوير قومه.

¹ أبو حاق، الالتزام في الشعر العربي، ص 65.

² محمد سعيد مولى، ديوان عنتر، المكتب الإسلامي، دب، ط، 1964، ص 18.

³ أبو حاق، الالتزام في الشعر العربي، ص 65.

⁴ المرجع نفسه، ص 68.

رغم أن العصر الجاهلي عُرف بكثرة الحروب إلا أن هذا لم يمنع الانسان الجاهلي بصفة عامة والشاعر بصفة خاصة أن يتحلى بصفات الكرم والأخلاق الحسنة والمثل العليا "وقد حرص الشعراء على التزام هذه المثل وتغنوا بها سواء وعوها في ذواتهم أو في ذوات ممدوحهم من الملوك والأمراء والأشراف وشيوخ القبائل والأبطال"¹، وما يميز هذه الصفات والأخلاق الحسنة التي يتغنى بها الشاعر أنها لا تختص به فقط وإنما تكون هذه الصفات في شيوخ القبيلة أو الأطياف الأخرى من المجتمع القبلي غير الشاعر نفسه.

وما يميز هذه الصفات أيضا أنها صفات تتميز بها معظم قبائل الجاهلية رغم ما كانوا يعانون به من حروب ومشاكل إلا أن الصفات ظلت راسخة في شخصيات تلك القبائل "ليصبح شعره مدرسة أخلاقية تربي الناشئة على ما تنتظمه من مبادئ وقيم انسانية وما تدعو إليه من غايات والمجتمع الطامح إلى التغيير والتطور وبلوغ مستقبل أفضل"²، كان للشعر غاية وسيمة في الجاهلية في تربية القوم على المبادئ والقيم الأخلاقية، فالشاعر مسموع له ومؤثر في شخصية الفرد والجماعة في المجتمع الجاهلي، فيستطيع أن يغرس في المجتمع مجموعة من المبادئ والقيم التي تكون ذات قيمة أخلاقية مرموقة تعكس لنا صورة الإنسان الجاهلي الذي يحمل أخلاق رقيقة.

وإذا عدنا إلى التراث الشعري عند الصعاليك في العصر الجاهلي نجد أن الشاعر الصعلوك خلق لنفسه موقفا ثوريا وذلك لم ينبثق من عدم أو فراغ وإنما بعد يأسه من تلك الحياة الوثنية التي نسبها مجتمعه القبلي فاعتنقوا سخطهم على بعض تلك القيم الاجتماعية وبالتالي أصبح شعرهم معارضا للقبيلة ومفاهيمها " إن صورة الفقر الجماعي وحالة البأس التي لازمت هذه الفئات من المجتمع استطاع شعراء الصعاليك أن يبرزوها بشكل واضح

¹ أبو حاقه، الالتزام في الشعر العربي، ص66.

² المرجع نفسه، ص67.

ويعبروا عنها بصورة مجسدة استخدموا في ابرازها ما كان يدور في نفوسهم وتتحسسه مشاعرهم¹، وعليه فإن شعرهم هو شكل من أشكال العملية الاجتماعية حيث صوروا الحياة التي عاشوها بكل صدق وقد مارس الصعاليك الشعر الملتزم من خلال وصفهم الهموم التي ألمت بهم ومواجهة قساوة الحياة ومنه يمكننا ارجاع أسباب التي دفعت بهذه الفئة إلى الكتابة بهذه الطريقة هو الوضع الاجتماعي المزري الذي تعرضوا له.

يبدو أن الحياة القاسية التي عاشها الصعلوك انعكست في شعره بكل صدق ووضوح وأصبح شعرهم يعبر عن هذه الحياة جراء الهموم التي عصفت بهم وصورته المعبرة عما كان يجري فيه من أحداث " إن شعراء الصعاليك يمثلون جانبا مهما من شعراء الالتزام بالدفاع عن القضية التي أدركوا أبعاد حجمها في المجتمع العربي وقد دفعهم هذا الالتزام إلى الاستهانة بالحياة من أجل تحقيق الوصول إلى هذه القضية الحادة في حياتهم²، شعر الصعاليك وجه آخر يضاف إلى شعر الالتزام بقضية معينة ويزيده عمقا حيث كان شعرهم حافلا بكل ما قاساه الصعلوك من مآسي وآلام فجعل منه أهم وسيلة وأكثر فعالية في التعبير عن ذلك.

2.1. الالتزام في الشعر الإسلامي:

لقد تغيرت حياة الأمة العربية بعد ظهور الاسلام وانتشاره في الجزيرة العربية من جميع النواحي ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الحدث الديني على الحياة الأدبية لهذه الأمة لاسيما في الشعر الذي أصبح من أهم الفنون الأدبية التي سادت في هذا العصر شأنه شأن العصر الجاهلي، أخذوا منه شعراءه وسيلة لنشر الدين والدعوة إليه والوعظ، والإشادة بمبادئ الإسلام ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والحث على الجهاد ورفع راية الدين الجديد

¹ نور القيس، الأديب والالتزام، ص53.

² المرجع نفسه، ص54.

والابتعاد عن المفاصد والمحرمات وكل ما يلحق الضرر بهذه الأمة فالشعر في صدر الاسلام معروف بالالتزام بالرؤية الاسلامية ومعانيه متصلة بقيمها الدينية حيث تخلى هؤلاء الشعراء عن كل ما يتنافى مع قواعد وتعاليم الدين الجديد من أجل ترسيخ مفاهيم الاسلام في الحياة وعلى هذا النحو رافق الالتزام الشعر الاسلامي منذ نشأته وتربطه علاقة وطيدة بالمجتمع.

استمد الشاعر الملتزم في العصر الاسلامي أفكاره وأساليبه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبار أن الالتزام في الاسلام هو المحافظة على الثوابت وترسيخ الايمان بالله عز وجل فيقول تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾¹، فهذه الآية الكريمة ترمي إلى وجوب صيانة مبادئ الدين الاسلامي والمحافظة عليها من الانحراف والمفاصد وكذلك قوله تعالى ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾²، ليتضح من هذه الآية أن الإنسان مسؤول عن أقواله وأفعاله التي تكسبه الأجر والثواب عند الله في خيرها ويعاقب عليها إن كانت عكس ذلك.

وهذا ما يمكن مطابقته تماما مع الشاعر في صدر الاسلام "الشاعر المسلم لم يكن بدعا بالالتزام، وليس غريبا بهذا الالتزام، وإنما هو موافق لسنة الله في الحياة، وإذا جاء تصوير الشاعر لرفع الأشياء على وجدانه من خلال هذا المفهوم وذلك التصور الذي مكنه الإسلام من نفسه أوقعه في قلبه، ولا ريب في أن هذا هو الالتزام بعينه"³، ومن هنا يتضح أن الشاعر في العصر الاسلامي ملتزم بثوابت وأصول الدين الاسلامي وشعره يعبر عن الانسان والواقع الذي ينبع بدوره من الفكرة والتصور الاسلامي.

¹ سورة الأحزاب الآية 70.71.

² سورة النور الآية 18.

³ ناصر عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص182.

مما يدل على أن الشعر في هذا العصر ملتزم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني ودلالات " ننتهي إلى أن مصدر الالتزام في الشعر إنما ينبثق من دين الإسلام وعقيدته، ومن رغبة الشاعر المسلم في مرضاة خالقه وطمعه في ثوابه وخشيته من سخطه وعقابه"¹، وبما أن الشعر الاسلامي يستقي قيمه ومضمونه من تعاليم الاسلام الراسخة ومبادئه الثابتة التي فإن الشاعر شعر شعورا عظيما بالمسؤولية التي وضعها على عاتقه.

لعب الدين الاسلامي دورا بارزا في تغيير ملامح الشعر وهذا عن طريق تلك المبادئ الجديدة التي أدخلها في صياغة الشعر " وقد استطاع الشعر في هذه المرحلة أن يؤدي مهمته السياسية والدينية بشكل يثير الانتباه لأنه استوعب الفكر واستجمع القوى ووجهها وجهة إنسانية حققت لها الوحدة ومهدت أمامها طريق التحرير الذي أصبح سمة من سمات الدعوة"²، أصبحت صورة الشعر واضحة حيث التزم الشاعر بتصوير الواقع الديني والسياسي الذي تمر به الأمة الاسلامية والدعوة إلى وحدة الأمة العربية تحت لواء الاسلام "لقد فرضت الظروف الجديدة على شعراء الدعوة أن يأخذوا مواقعهم، وفرضت عليهم أن ينزلوا إلى الساحة مقاتلين ومدافعين، موجهين ومرشدين، يستمدون العزم على سلامة الدعوة"³، وعليه لم يعد دور الشاعر الالتزام بتعاليم الدين فحسب إنما تجاوز ذلك وأصبح ملتزما بتناول القضايا الاجتماعية والدينية.

أعرض عن العوراء إن أسمعتها
واقعد كأنك غافل لا تسمع
ودع السؤال عن الأمور وبحثها
فلا رب حافر حفرة هو يسرى

¹ ناصر عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص184.

² نور القيس، الأديب والالتزام، ص61.

³ ناصر بن عبد الرحمان الخنين، الالتزام الاسلامي في الشعر، ص184.

والزم مجالسة الكرام وفعلهم وإذا اتبعت فأبصرن من تتبع¹

أصبح للشاعر والشعر دور فعال في الدفاع عنها باعتبار الشعر ملكة من الملكات الفنية التي عرفت بها الأمة العربية " وقد أدرك الشعراء الثلاثة حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة مهمتهم التاريخية في الوقوف أمام شعراء المشركين أمثال عبد الله بن الزبيري وأبي سفيان بن الحارث ضرار بن الخطاب وقد استطاعوا أن يكونوا أندادا لهم في المقارعة ويردون عليهم بالعنف الذي أوجبه طبيعة المعركة²، يعتبر هؤلاء الثلاثة خير من مثل شعراء الدعوة الإسلامية ويعود ذلك إلى الجهود التي قاموا بها من أجل جعل الشعر كسلاح جاء في سبيل الدعوة الإسلامية وخير وسيلة للتصدي خصوم الدعوة محاولين من خلال ذلك اثبات الغاية النبيلة التي دعا إليها الإسلام وهي الأخوة والترابط لتحقيق الوحدة العربية.

لم يقتصر هؤلاء الشعراء في الدفاع عن الدين الإسلامي والحث على تعاليمه فقط بل دعوا إلى حمل السلاح والجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام فكانوا يبثون في نفوس المجاهدين الحماسة من أجل القضاء على المشركين ومن هنا كان " لا بد أن يرتبط بشعر الدعوة شعر التحرير الذي عرف باسم شعر الفتح، فالعرب لم يفتحوا بلاد فارس والروم ولم يدخلوها فاتحين، وإنما كانت قوافل التحرير الإسلامية تحمل المبادئ الإنسانية الرفيعة وتنتشر القيم الأخلاقية السامية، وتعيد إلى الإنسان كرامته في ظل الدعوة، وحرية في نطاق الإطار العام ومنزلته في كيان المجتمع الجديد"³، من هنا يتضح أن الشعر الإسلامي شعر خالد عبر رحلته الطويلة التزم بقضايا الأمة الإسلامية وساهم بقدر كبير في بلورة الفتوحات

¹ حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان، تح، عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2006، ص163.

² نور القيس، الأديب والالتزام، ص60.

³ المرجع نفسه، ص62.

الإسلامية وعليه فإن الالتزام في التصور الإسلامي هو طاعة يجمع بين القضايا الدنيوية والمنافع الأخروية، وإلى جانب التغني بالبطولات وإبراز الروح البطولية والحث على الجهاد في سبيل الدعوة الإسلامية تميز الشعر الإسلامي، بالدعوة إلى الالتزام بمبادئ المساواة الذي يتجسد هدفها في تحقيق الانصاف.

وبناء على ما سبق بقي أن نشير إلى " أن من الشعراء المسلمين الملتزمين من يحمل فنه الشعري الرائع دعوة ضمنية صريحة إلى الإسلام، وذلك بأن يبعث النفوس إلى التحلي بأخلاقه، والتأسي بسننه تارة ويشير إلى حكمه، ويشيد بأعماله ومواقفه وأيامه تارة أخرى، وتارة ثالثة ينصب نفسه للذبّ عن بيضة الدين ومكافحة شبه المنافقين والملحدين وحث المسلمين على التعاون على البر والتقوى، وترك التدابر والإثم والعدوان، وذلك في صورة شعرية مؤثرة"¹، طالما سعى الشعر في عصر صدر الإسلام إلى تحقيق الالتزام بمبادئ وتعاليم الدين الإسلامي والقضاء على العصبية والوثنية السائدة في الجاهلية بكل أشكالها ودعى كل مسلم ومسلمة إلى التحلي بالحق والابتعاد عن الشر والتسامح في الله وإرشاد العباد إلى ما ينفعهم وينهاهم عن ما يضرهم من أجل صلاح المجتمع.

على هذا النحو لم يكتف بالالتزام فحسب، إنما قام بالدعوة إليه في ذات الآن وهذا ما يعطيه مكانة مرموقة ودرجة عالية " فلا بد إذن من التفريق بين شاعرين أحدهما ملتزم بالإسلام، والآخر داعية إليه، فبينهما عموم وخصوص فكل داعية ملتزم، وليس كل ملتزم داعية، وذلك كشأن بقية المسلمين غير الشعراء فمنهم من دعاة ومنهم مسلمون ملتزمون بالإسلام غير داعين إليه ولذلك فالفريقان متفاوتان في الأجر والمثوبة"²، نفهم من هنا أن الشاعر الملتزم بالإسلام والداعي إليه في نفس الوقت يختلف عن الشاعر الذي يكتفي

¹ ناصر عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص 188-189.

² المرجع نفسه، ص 189.

بالالتزام فحسب دون الدعوة إليه وبالتالي فالأول أعظم من الثاني وبنال الأجر والثواب أكثر الذي ترتبط بدرجة التزامه.

3.1. الالتزام في الشعر الأموي:

شهد العرب بعد عصر الخلافة الرشيدية عدة تحولات وخاصة في مجال السياسة وصراعات على الخلافة الإسلامية وتحول الأمراء إلى البلاط بعدما كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يمارسون حكمهم في المساجد ولم يهتموا للأمور الدنيوية من قصور ومال، وهذا ما أدى إلى نشوب صراعات بينهم.

عرف العصر الأموي تشكل أحزاب سياسية مختلفة ولكل حزب شعراء يدافعون عن أفكار وأراء الحزب الذي ينتمون إليه " كان من أبرز هذه التحولات ظهور أحزاب سياسية أخذت تتنازع وتتطاحن ويعمل بعضها على إثراء البعض ولكل حزب من هذه الأحزاب إيديولوجيته وأهدافه وشعراؤه وخطبائه وموقفه من الخلافة الأموية ومن سائر الأحزاب"¹، ومن هنا تجلى الالتزام في العصر الأموي حيث يتبنى كل شاعر الحزب الذي يوافق أفكاره ومبادئه ويعمل على نشر الأفكار والميزات التي تخص حزبه.

هنا يتضح الخلاف الموجود بين تلك الأحزاب حول منصب الخلافة فكل واحد يرى نفسه الأحق للخلافة على المسلمين ويحمل لواء الخلفاء الراشدين ومن هذه الأحزاب الحزب الأموي الذي يمثل الحزب الحاكم والمناصر للدولة بني أمية ومجريات سياستها ويعتبر الأخطل بن تغلب من أبرز الشعراء الذين التزموا اتجاه هذا الحزب " وهو في هذا الشعر يلتزم موقف الأمويين وموقف قضيته تغلب فيجود عن هذا الموقف في معترك الأحداث التي عرفها العصر الأموي ويتغنى بحكم بني أمية"²، لقد سخر الأخطل شعره لخدمة بني أمية

¹ أحمد أبو حاققة، الالتزام في الشعر العربي، ص71.

² المرجع نفسه، ص72.

وذلك بالمدح والافتخار بهم والدفاع عن قضاياهم بلسانه فهو يرى أحقية الحكم والخلافة من نصيب بني أمية فدافع عنهم بكل صدق وإخلاص.

خفّ القطين فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوى، في صرفها غير¹
ولم يكتف الأخطل بمدح بني أمية بل سار به الأمر إلى مهاجمة منتقدي بني أمية " ويهجو أعدائهم انطلاقاً من الأنصار إلى الشيعة إلى الخوارج إلى الزبيريين فإلى القبائل القيسية وسوى هذه الأقسام ممن كانوا يعارضون بني أمية"²، فكل من لا يوافق بني أمية في أفكارهم وأرائهم وأحقيتهم في السلطة والحكم كان الأخطل يهجوهم ويظهر عيوبه في مختلف قصائده فكان شديد الالتزام بكل ما يعني بني أمية، وهذا ما يظهر لنا في هذه القصيدة:

أتغضب قيس إن هجوت ابن مسمع وما قطعوا بالعزّ باطن وادي
وكنّا إذا احمر الثرى عند معرك نرى الأرض أحلى من ظهور جياذ
كما ازدحمت شرف نهال لموردٍ أبّت لا تناهى دونه لذياذ³
وجعل موقفه شديد الظهور للعيان ولم يخفي ذلك التوجه السياسي المدافع لبني أمية " كذلك كان الأخطل دعامة كبرى للحكم الأموي لا تقل قوة وصلابة عن تلك، والتزامه قضية تقوم على الكلمة الشعرية"⁴، استغل بنو أمية هذا لترويج لمبادئها وأفكارها مما يحمله الشعر الشعر من مكانة وتأثير في ذلك العصر.

رغم الحرص الشديد لبني أمية على تحسين صورتها وهذا من خلال الشعر واستغلال بعض الشعراء وضمهم إلى صفها بكل الطرق الممكنة إلا أن هذا لم يشفع لهم من ظهور شعراء انتقدوا طبيعة الحكم التي انتهجها بني أمية وحتى أحقيتهم في الحكم في حد ذاته فأروا

¹ مهدي محمد ناصر الدين، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994، ص14.

² أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص72-73.

³ مهدي محمد ناصر الدين، ديوان الأخطل، ص83.

⁴ أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص73.

أن الحكم في أساسه أغتصب من آل البيت وأنصار سيدنا علي كرم الله وجهه ومن أشهر شعراء آل البيت الكميّ بن زيد الأسدي " ولقد ضمن الكميّ هاشميته عقيدته الدنية ومذهبه السياسي وحب لبني هاشم وتشيعه لهم وتضحيتهم بكل شيء في سبيلهم، واستعداده لتحمل المسؤولية في التزامه"¹، إن موقف الكميّ ظاهر رغم الحصار الذي تعرض له والإغراء من بني أمية إلا أنه بقي على مبدأه ملتزماً بقضية بني هاشم.

ولم نبالغ إذا قلنا أن هذا الأخير قد دافع عن بني هاشم دون أي قيد أو إغراء " فلا خوف والاضطهاد، ولا المال ولا الجاه، ولا الطعام، ولا الشراب، ولا حب النساء وملذات الحياة، ولا أي شيء من حطام الدنيا قادر على إغراء الكميّ أو على تحويله عن حب بني هاشم"²، يعتبر التزام الكميّ اتجاه بني هاشم صادق ونابع من القلب فلا شيء يغريه في هذه الدنيا ملذات ويبعده عن هذا الإخلاص الذي يكنه لبني هاشم فهو شديد الحرص والالتزام في قضاياهم .

ظهر معارضون لهذين الحزبين السابقين يتمثلون في شعراء الخوارج، والخوارج هم الذين خرجوا على السيد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد أن عين على رأس الخلافة الإسلامية " بل إن التزامهم كان في أيامهم أقوى التزام وأكمله أصدق وأقرب إلى حقيقة الالتزام الإيديولوجي"³، كان الخوارج من أكثر الملتزمين في الاتجاه المعارض لبني أمية وآل البيت وكانوا يرون أن أحقية الحكم للمسلمين كلهم ولا تقتصر على فئة معينة ولا يؤتية الحكم بالنسب وقوة الجاه، فالحكم عندهم يتمثل بمن لديه أفكار وقوة معرفية يساهم بها للنهوض بالدولة الإسلامية.

¹ أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص75.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص76.

وهكذا كان الالتزام عند الخوارج التزاماً قيماً شبيه بالالتزام العصر الحديث مرتبط بالأيديولوجيات المختلفة كالمساواة وتوالي الحكم كما يعرف في عصرنا هذا بالديمقراطية، كان الخوارج قد مهدوا للسياسة الديمقراطية ومبدأ المساواة.

4.1. الالتزام في الشعر العباسي:

لقد وصلت الحركة الأبية عامة والشعرية خاصة إلى ذروة التطور والازدهار في العصر العباسي المعروف بالعصر الذهبي، حيث كان الشعر من أهم الفنون التي يمكن الحديث عنها تحت موضوع الأدب في هذا العصر ونتيجة التجديد الذي طرأ على مستوى المجالات واختلاط الثقافة العربية بغيرها من الثقافات، عرف الشعر تطوراً واسعاً يعبر عن هذه الحياة الجديدة وهذا أمر طبيعي في أن يتغير الشعر تبعاً لتغير الذي طرأ على هذه الحياة الجديدة.

نال الالتزام في الشعر العباسي نصيباً من الكلام الذي سار في ثلاثة جوانب أولهما السياسي وثانيها الديني ثالثها اجتماعي " أما الاتجاه السياسي، فقد بدأ مشاركة في الصراع العنصري بين العرب والعجم، فكان بعض الشعر يلتزم بالموقف العربي فيدافع عنه، ويدعوا إليه، كما هي الحال في شعر الأصمعي (216هـ-831م) ومحمد بن يزيد المهلبي (226هـ-840م) وبعضه يلتزم موقف العجم فيذهب إلى تأييد الشعوبية ويروج لادعاءاتها ويزري بالعرب وبدأوتهم ويعيرهم تقصيرهم في ميدان الحضارات كما الحال في شعر لبشار (516هـ-784م) وأبي نواس (200هـ-816م)¹، ومن هنا بدت تظهر ملامح الالتزام واضحة في الشعر السياسي العباسي وظهرت مكانة الشاعر في مجتمعه ودوره في معالجة الأحداث وكل فئة من الشعراء التزمت بمبادئ قومهم وأرائهم وكل واحد منهم يعاني من أجل جماعته التي ينطق بها ونتيجة الظروف والتطورات الفكرية والعقلية السائدة.

¹ أحمد أبو حاق، الالتزام في الشعر العربي، ص 81.

برز ما يسمى بالشعر القومي في هذا العصر ومن المعروف أن خير من يمثله هو الشاعر المتنبّي " ونجد المتنبّي نموذجا للشعر العربي الملتزم التزاما قوميا في عصر بني العباس فنجد أن هذا الالتزام القومي لم يقتصر على الجوانب السياسية وإنما انتظم شخصية الأمة العربية بكيانها ووجودها وحضاراتها وأخلاقها ومعتقداتها الدينية ومثلها العليا وتاريخها ماضيا وحاضرا ومستقبلا"¹، بالإضافة إلى أن المتنبّي المثل في الشعر الالتزام القومي فإنه أيضا ثمرة للرقى الفكري الذي امتازت به الأمة العربية الإسلامية، وهنا يظهر دور الالتزام في تحديد مصير المجتمعات.

فالشعر القومي مسؤول عن هذا التطور الذي عرفته هذه الأمة "فهذا رمزا لهذه الأمة التي عبث بها الضياع، وأصبحت مهددة بالزوال، وصار النضال أوجب وجباتها كي تستطيع أن تحافظ على وجودها، وأن تثبت هذا الوجود فعلا سياسيا واجتماعيا وحضاريا بين الأمم فكفاح المتنبّي رمز الكفاح الأمة العربية"²، فكان المتنبّي ابن بيئته والناطق باسمها وكلمته سلاحه في الكشف عن الواقع ومحاولة تغييره إلى الأحسن ورفع مستواه السياسي الاجتماعي والفكري " وأن شعر الشاعر هو الآخر نتاج هذه الشخصية التي شكلتها ظروف حياتها على نحو هذا النحو أو ذاك"³، بمعنى أن الظروف التي يعيشها الشاعر تنعكس في إنتاجه الشعري ومراده منها لا يقضي عليه فحسب إنما هدفه الحقيقي التعبير عن واقع الأمة وأوضاع أبناء هذه الأمة من معاناة وسخط من الظروف المزرية السائدة مما يجعل شعره ينبع من أعماقه.

¹ أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص 82.

² المرجع نفسه، ص 81.

³ إبراهيم عبد الرحمان محمد، مناهج نقد الشعر، في الأدب العربي الحديث، الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 42.

إذا عدنا إلى الالتزام الديني في شعر بني العباس نجد أنه " امتداد لحركة بدأت مع ظهور الاسلام ثم أخذت تنمو يوماً بعد يوماً وتتعمق وتتأصل حتى بلغت القرن الثاني للهجرة لكن تمازج الشعوب وتمازج الثقافات والحضارات وتطورات الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية لقد لونت الالتزام الديني بألوان جديدة فإذا به يتحول إلى زهد في الحياة وتنتسك وعبادة وبعد عن ملذات العيش"¹، لقد ساهم الانحطاط الأخلاقي الذي عرفه المجتمع العباسي في هذه الفترة إثر اختلاط الثقافات والأجناس إلى ظهور اتجاه شعري جديد في ذلك العصر.

كان ذلك السبب الرئيسي الذي أحال إلى ظهور ما يسمى بشعر الزهد الذي تناول الابتعاد عن الحياة الدنيا باعتبارها حياة فانية والتفرغ إلى العبادة " وهكذا جاء شعر الزهد حافلاً بأفكار جديدة وصورا من التقى والورع والصبر وقهر النفس وحرمان الجسد ومغالبة الشهوات وفي هذا الشعر تتألق مجموعة من المبادئ الإنسانية والفلسفية التي تفسر الكون وحقائق الوجود تفسيراً خاصاً نابعا من الرغبة في تحقيق إنسان مثالي"²، عمد شعراء الزهد في هذه المرحلة إلى ترك الدنيا وملذاتها والصبر وتحمل المشاق في سبيل الهداية فهو عمل إيجابي لتربية المجتمع الصالح.

يحمل شعر الزهد معاني سامية للروح وأدخلوا فيه الفلسفة والحكمة والحث على العبادة وطاعة الله الواحد الأحد " ومما يميز أنه شديد الالتصاق بالدين قائم على الايمان القلبي بمعانيه أكثر من قيامه على موقف فكري عميق وعلى فلسفة شخصية خاصة يكون الشاعر الذي يلتزمها إسهام فعال في خلقها. ولعل خير من يمثل شعر الزهد في عصر بني العباس هو الشاعر أبو العتاهية"³، غلب على شعر الزهد الطابع الديني والالتزام

¹ أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ص 92.

² المرجع نفسه، ص ن.

³ المرجع نفسه، ص 92.93.

بما حث عليه الدين الحنيف فكانت معظم قصائدهم داعية إلى التوبة والرجوع إلى الله فقامت طائفة من الشعراء على رأسهم أبو العتاهية بالدعوة إلى الزهد الذي يعد خدمة اجابية للمجتمع وبالتالي استحوذ الزهد على معظم شعره.

لعمرك، ما الدنيا بدار بقاء؛ كفاك بدار الموت دار فناء
فلا تعشق الدنيا، أخي، فإنما يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء
حلاوتها ممزجة بمرارة؛ وراحتها ممزوجة بعناء
فلا تمش يوماً في ثياب مخيلة فإنك من طين، خلقت، وماء¹

كان الزهد في العصر العباسي مذهباً له خصائصه وأصوله ارتكز عليها وقد جاءت هذه الفكرة نتيجة دوافع مختلفة إلى جانب الدافع الديني الذي كان أساساً لها، مما جعل الزهد فكرة عميقة اعتنقها الشاعر ثم هناك جانب جديد من الزهد أين تطورت هذه الحركة لتتحول إلى حركة التصوف من سمات هذه الحركة التعبير عن الحب الإلهي وتوحيد الخالق بصورة خاصة " وهو ما يعبر عنه ابن الفارض وسائر المتصوفة بالحب الإلهي ويتغنون به والتصوف مصطلحات تقع عليها في كلام المتصوفة ويزخر بها شعر ابن الفارض كالحب والهوى والفناء والبقاء والوجد والسكر والصحو والكشف والاتحاد وما إلى ذلك"²، لقد بلغ الشعر الصوفي الذروة في التجرد والتسامي بذا أن الالهية وهذا ما آل إليه شاعرنا ابن الفارض تميز شعره بأسلوب يدخل الطمأنينة إلى القلب حمل في طياته سمات تطهير الروح والنفس.

أما الجانب الاجتماعي في العصر العباسي كان له الدور الأكبر في نشأة شعر الالتزام الاجتماعي حيث كان شعرهم آنذاك انعكاساً للبيئة الاجتماعية وتجسيداً لمظاهر الحياة الاجتماعية مما خلق الالتزام الاجتماعي الإنساني " وهو التزام يقوم على موقف فكري يقف

¹ أبي العتاهية، ديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1986، ص12.

² أحمد أبو حاق، الالتزام في الشعر العربي، ص96.

الشاعر من المجتمع والوجود ويكون له رأي بكل من هما وما يتصل بهما من قريب أو بعيد وقد تجلى هذا الموقف عند أبي علاء بشبه ثروة فكرية تناولت الأوضاع الاجتماعية في الأخلاق والسياسة والدين والعادات والتقاليد والنظم المختلفة¹، مما لا شك أن الشعر الاجتماعي في عصر بني عباس يعكس جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية والغرض منها هو ما يؤلف بين أفراد الأمة ومنه فإن للشعر الاجتماعي الدور الريادي في الإصلاح ومحاربة الانحلال الخلقي وتعبير آخر هو شعر صادق يرمي إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية.

لعمرك ما أنجأك طرْفُك في الوغى من الموت لكن القضاء الذي ينجي
فلا تك زيرا للنساء وإن تمل لهن فلا تَأذن لزيرو ولا صنح
ولا تدن للصَّهياء بنتا لا بيض ولا تقرب الخمرَاء من ولد الرِّزج²

كان أبو علاء المعري علم من أعلام الشعر الاجتماعي في عصر بني العباس "ولقد تخطى الالتزام لديه حياة المجتمع وواقعه وأحواله إلى موقفه من الإنسان بصورة عامة وغايته في الوجود وماهيته في قلب هذا الكون وأهميته ومصيره، وانعكست آراؤه ومواقفه كما هو حال كل ملتزم بالقول والفعل أعمالا وضروبا من السلوك وأقوالا شعرية"³، لم يكتفي شعر المعري بالتعبير عن الحياة والمشاكل الاجتماعية فحسب باعتباره يعيش الأمر الواقع ويواجهه التحدي الدائم إنما تساءل أيضا في الكون وألغازه وأسراره وكذلك عن حقيقة الحياة وأسباب الوجود ومن ينبثق الالتزام بكل ما لهذه الكلمة من معنى ودلالة.

¹ أحمد أبو حاققة، الالتزام في الشعر العربي، ص 98.

² أبي العلاء المعري، اللزوميات، تح، أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، ج 1، دس، ص 199.

³ أحمد أبو حاققة، الالتزام في الشعر العربي، ص 102.

من هذا المنطلق يتضح أن شعراء بني العباس أوجبوا على أنفسهم مرافقة أوضاع وظروف واقع هذه الأمة من جميع النواحي وساهموا في نطاق واسع على تطويرها ومعالجة معظم وقائعها " إن شعراء الدولة العربية في هذه المرحلة بمختلف الاتجاهات يمثلون مرحلة النضج الفكري الذي وصلت إليه الدولة استيعاباً وتطبيقاً"¹، من هنا يتضح أن علاقة الشعراء العباسيين بالرقى الفكري هي علاقة الروح بالجسد، مما يجعل الوقوف عند ظواهر الالتزام في العصر العباسي يشمل جوانب جديدة متعددة في الاتجاه السياسي، الديني الاجتماعي وأن الشاعر وضع نفسه في خدمة الدولة.

2. مكانة وأهمية الالتزام في الشعر العربي المعاصر:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الاستقلال الذي عرفته معظم الدول ونتيجة الواقع المرير الذي طرأ على الشعوب العربية، شاع مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث والمعاصر على وجه العموم وفي عالم الشعر على وجه التخصيص، مما جعل الالتزام في الشعر أمراً ضرورياً تبعا للقدرة التي يملكها على توجيه الشعوب نحو الطريق الصحيح وطريق التقدم والازدهار وكذلك في مواجهة العراقيل التي تعيق مسار الأمة وعليه أصبح الشاعر العربي يدرك أهمية المسؤولية التي تقع على عاتقه باعتباره مؤهلاً للتعبير عن قضايا المجتمع وطموحاته والوقوف بحزم من أجل بناء المجتمعات ومن هذا المنطلق نود تسليط الضوء على مكانة وأهمية الالتزام في الشعر العربي المعاصر.

الشاعر انسان يعيش ضمن مجموعة من البشر وهذا ما يخلق ما يسمى بالتأثير والتأثر فيما بينهما وهذا ما يدفع الشاعر إلى تسخير شعره وتكريس جل اهتماماته في خدمة المجتمع وله دور حاسم في معالجتها " نشأة فكرة الالتزام إذن في العصور الحديثة نتيجة احتكاك الأدب بمصطلحات الحياة التي يعيشها وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء ما عنده

¹ نور القيس، الأديب والالتزام، ص 68.

مشكلات"¹، فالالتزام إذن ظاهر أدبية جديدة ارتبطت بظروف العصر ارتباطا وثيقا وأصبحت أشد التصاقا بحياة الأمة ولا بد أن لا يكون خارج نطاق الحرية والمسؤولية ويكون قائما على العدالة والمساواة.

نال الشعر العربي منزلة عظيمة ومكانة رفيعة منذ القدم واستمر على هذا الحال عبر مختلف العصور وصولا إلى عصرنا الحالي وعليه حظي الشعر المعاصر بجانب مهم من الالتزام وأصبحت دواوين الشعراء في هذه الفترة داخلة لما قاساه المجتمع العربي حيث تناول الشعراء العرب في معظم قصائدهم موضوعات متعددة عن القضايا الاجتماعية منها البؤس والفقر والظلم والاستغلال وتآمر الأعداء عليها وكل هذه الظروف ألهمت حماسهم فانطلقوا يدافعون عنها " فالشاعر المعاصر يدرك بوضوح أن مجتمعه يحارب معركة مصيرية وأنه يملك سلاحا من أخطر هذه المعركة"²، مما لا ريب فيه فإن الشعر الملتزم يحمل من طياته موقف من الحياة والعصر، بمعنى أن الشعر الملتزم يحيا مع الأمة ويخضع لمتطلبات العصر.

ليكون الشعر صادقا لا بد أن يتكلم عن واقع الانسان والشاعر نفسه جعل الالتزام في الشعر نشاطا حادا هاما ذو تأثير في سيرورة الحياة وحركتها " ومع ظهور الشعر الملتزم إلى ساحة الأدب أصبحت عقيدة منسوخة وأصبح الأدب يعني الانطلاق من الواقع بغية تغيير المجتمع نحو الأحسن ووسيلة لإثارة الهمم وتحريك السعي إلى الفضيلة في الانسان"³، إذن التزام الشعراء ناتج من طيف المجتمع ومحيطه مما يدل على أن الشعر الملتزم مرآة الحياة

¹ عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دارا الفكر العربي، دب، ط3، دس، ص374.

² المرجع نفسه، ص407.

³ أبو الحسن أمين مقدسي، دراسة أغراض التكرار في الشعر الملتزم عند البياتي، مجلة أفق الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 2017، ص4.

بحلوها ومرها وبشرها وخيرها وهذا ما عبر عنه "غنيمي هلال" بقوله " يراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن والقضايا الوطنية والإنسانية فيما يعانون من ألام وما يبنون من آمال"¹، ومن أهم الخصائص التي ميزت الشعر الملتزم أنه منبثق من صميم الواقع، ونابع من وجدان الشاعر الذي يعتبر بدوره صاحب القضية والمحرك الأساسي لها دون قصر أو إرغام.

يستمد الشاعر قوته وجودته عن طريق مواقف الحياة التي عالجها في شعره، فأوجب الشاعر على نفسه أن يصارع مع أمته ويكون جزءًا متداخلا فيها لكونه يملك القدرة على رؤيتها وإدراكها ولأنه أيضا يعيش في وسطها الأمر الذي يدفع به أن يلتزم التزاما كبيرا بكل المشكلات ومختلف القضايا التي يعاني منها المجتمع ويسعى جاهدا للوصول إلى حلول مناسبة للسيطرة عليها " إن التزام الشاعر بموقف فكري لا يضير الشعر ذاته في شيء أو يناقض طبيعته، بل هو -على العكس- يضمن له الفاعلية والأهمية ويحقق الشاعر الوصف القديم أنه بني قومه، وطفلم، وخادمهم في آن واحد ... "²، وهذا ما يمكن مطابقته تماما مع الشاعر العربي المعاصر إذ كان لشعره مكانة عريقة وقوة مؤثرة محرّكة للعقول واتجاهاتهم وهذا ما يحيل إلى القول أن الشعر الذي له قيمة في حياة الأمة هو الشعر الذي يحمل في جوهره أحداث تعكس مواقف ووقائع إنسانية تمس جوانب الواقع الإنساني والحياة.

فما من شك أن الالتزام له تأثير إيجابي على الشعر " إن قضية الالتزام تصبح هنا قضية الشعر ذاته، الحركة الشعرية الحديثة تقدم نفسها عوضا عن الصراع العقائدي الفكري الذي واجه المثقفين العرب، لقد أصبح الشعر في التزامه الحميمي للوضع الإنساني عديلا له

¹ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي، ص 456.

² عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص 395.

وبالتالي مجسدا لقضياه¹، يبدو أن الشعر رفيق الانسان المعاصر في السراء والضراء حيث استطاع أن يثبت وجوده والحفاظ على مكانته في هذا الجنس الأدبي الذي يمثل ديوان العرب.

بذلك تظهر علاقة الشعر والالتزام بقضايا المجتمع والانشغال بهومها علاقة جذرية متماسكة ومصدر إلهام الشعراء، فالشاعر ابن الحياة ومن واجبه خدمتها فنجد الشاعر المعاصر يصور الحياة بكل جوانبها وهو المجسد الحقيقي للواقع الذي يعيشه أفراد المجتمع "ولعل ما يلخص حقيقة الأمر أن يقال أن الالتزام هو الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع وهي ليست علاقة أخذ أو عطاء ولا علاقة انصهار وذوبان وإنما هي علاقة تطابق"²، الشاعر يؤمن برسالة معينة أوجب على نفسه أن يؤديها لمجتمعه حاملا اللواء الانساني، إذ يلعب دورا فعالا في تنظيم الحياة الجماعية للأفراد والجماعات حيث استطاع نقل وطرح انشغالات مجتمعه بشكل إبداعي فني بواسطة شعره.

يهدف الشعر دائما إلى معالجة اهتمامات الانسان وجل مشاكل الأمة ويرسم مسارها الواضح " فالشعر لا يتنافى وحقيقة الالتزام حيث يتحقق الالتزام عندما يختار الشاعر أن يقدم للناس أعمالا إيجابية في تأثيرها ما يسمى حياتهم ومشكلاتهم وليس في ذلك ما يلغ ذات الشاعر الفردية وطبيعتها الوجدانية"³، عندما يكون الهم الانساني ومعاناة البشرية ضمن

¹ أمل ديبو، الالتزام في شعر بدر شاكر السياب، إشراف، نديم نجمي، مذكرة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1982، ص89، (249).

² إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1998، ص160.

³ فؤاد عمر علي البادلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، إشراف خالد أبو علي، مذكرة ماجستير الجامعة الاسلامية، غزة، 2003، ص22، (215).

اهتمامات الشاعر، التي تعتبر بدورها من أهم الأمور التي تجعل شعرهم يتفاعل مع الجمهور لأنها بكل بساطة تتبع من وجدان الشاعر الذاتية.

وهكذا تفسح المجال للتعبير لا عن قضايا المجتمع فحسب بل عن تجارب الفرد الشخصية بطريقة جديدة هادفة لتطوير الشعر "لأن الشاعر مع ذلك قادر على التغيير بأصالة وإبداع عن هذه الحياة وتحارب الناس في وجدانه وتفكيره، وليس في الالتزام ما يناقض قيم الجمال والعناصر الشعرية الخالصة وإنما هو وعي وإقناع وإيمان برسالة الشاعر ومسؤوليته ودوره في تطوير الحياة"¹، الشعر ليس غاية في ذاته بل هو مجال الفكر والواقع وإنتاج فني صادق يخدم هدفا نبيلًا يسعى إلى الكشف عن الواقع والالتزام خدمة جليلة والحلقة المثلى التي تربط بين الشعر وأحداث العصر.

الشاعر الملتزم يقدم أعز ما يملك لينقل رسالته النبيلة واقفاً مع مجتمعه وأمته في أفرانها وأحزانها وبيان الحق والباطل ويختار طريقة تعبيره بحرية تامة ليتبين أن الشعر الملتزم عبارة عن تكامل بين المجتمع والتزام بروح جماليات العصر " وإنما يتحقق الالتزام عندما يقدم الأديب للآخرين أعمالاً إيجابية في تأثيرها تمس حياتهم ومشكلاتهم مساً مباشراً، فالناس في حاجة دائماً إلى من يمهّد لهم الطريق إلى الحلول الناجزة لقضاياهم ومشكلاتهم"²، الالتزام هو الوسيط الضروري الذي يربط بين الحياة والأدب، ويتجلى ذلك في الدور الفعال الذي يقوم به الأديب في توجيه الحياة والتضحية في سبيلها ومدى تعلق هذا الأخير بقضايا مجتمعه بحيث أن مشكلات الأديب هي نفسها الحركة الشعرية في صلة دائمة مع المجتمع، والشعر حاضر في جميع الأزمات والدليل على ذلك مواكبة الشاعر العربي المعاصر واقعه الاجتماعي السياسي القومي الوطني.

¹ فؤاد عمر علي البادلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، إشراف خالد أبو علي، ص22.

² عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها ظواهره الفنية والمعنوية، ص375.

كانت الأحداث التي خلقت من رحم الثورات العربية مصدر إلهام الشعراء، وكان لها دور إيجابي في التعبير عن ذلك بوعي تام وإبداع أصيل من قبل الشاعر، وبالتالي ظهرت القصائد الشعرية بشكل مستمر تناولت الجرح العربي النازف، وعمق المأساة العربية وتحمل الشعراء مسؤولية التعبير عن معاناة أوطانهم ووقفوا إلى جانبهم مدافعين عن قضاياهم بالكلمة الصادقة، وفكرة الالتزام إذن هي توظيف الشعر لخدمة أهداف المجتمعات والسعي نحو تحقيقها، وأسهم في يقظة الشعوب والأمة والشعراء خاصة والدعوة إلى الانضمام والاعتناء بالشعر الذي ينبثق من صميم الواقع الذي يهتم بدوره بقضايا الأمة، وبهذا يصبح الالتزام سلاح ذو حدين من جهة ساهم في تطوير الرقي الاجتماعي ومن جهة أخرى يعمل على تطوير الشعر في ذات الآن.

وُضع الشعر في مكانه الحقيقي بعيدا عن فكرة الشعر من أجل الشعر ودعم وإثبات أن الشعر للحياة " وقد رأينا غزارة في الانتاج الشعري المتأثر بالحدث لأنه الفن الأقرب نسبيا لعنصر فجائية الحدث، ولأنه الفن الأدبي الأقدر في رأينا على رصد واقع الإنسان الحياتي"¹، إن هموم الشاعر واهتماماته لا تتفصل عن هموم الناس ومشكلاتهم فهو في النهاية إنسان مرتبط بقضايا الحياة في مجتمعه وعصره، لا يستطيع أن يتحرر من محيطه وثقافته ومذاهبه، وهذا ما ينطبق على الشاعر العربي المعاصر الذي كان دوره قيادة الجماهير والإسهام في معركة اليقظة والنهوض بالشعوب العربية، وذلك في حمل رسالة أمته أي كان نوعها نابعة من قلب شديد الاحساس بما يكنه هذا الشاعر اتجاه وطنه وأمته.

فبمجرد أن يلتزم الشاعر يصبح مسؤولا عن كل ميزة وكل كبيرة تصيب مجتمعه، مؤمنا بأنه لا شعر دون رسالة وموقف معين وأن كل شعر مضمونه لا يخدم الإنسان فهو

¹ مسعد بن عبيدي العطوي، تأملات في الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد،

زائف، والشعر الحقيقي هو الذي يخدم الحياة لا محال ووظيفة الالتزام بقضايا الواقع حيث تتعدد قيمته الفنية بالأثر الفعال الذي يتركه في نفوس الناس ولا قيمة لأي عمل شعري خارج هذا النطاق وهذا ما أوضحه عز الدين إسماعيل في قوله " والفنان على صلة دائمة بالمجتمع، ويقدم إليه ما يتساوق مع حاجته سواء رضى عنه المجتمع أول الأمر أو واجهه بصرامة، وخضوع الشاعر لمجتمعه حقيقة لمسها أكبر الشعراء أنفسهم، فعرفوا أنهم لا شيء بدون المجتمع"¹، لا بد من القول أن الشعر جوهر الانسان ومنطلقه وهو أكبر بكثير من أن يكون مجرد متعة جمالية بل هو أداة نافعة في خدمة المجتمع والأجيال وله قدرة كبيرة على تغيير الانسان الذي يعبر بدوره الواقع باعتباره الشاعر مرتبط بالجماعة والعلاقة وطيدة بين الشاعر ومجتمعه وهو بمثابة الجندي الذي يدافع عن الانسان وحرية معبرا عما يختلج في نفسه من عواطف وأحاسيس.

الالتزام بظروف الواقع واحتياجات المجتمع الأمر الذي يعين الشاعر في أداء رسالته " فإن الإبداع يأتي من حياة الأمة والمجتمع بعد أن يصارع المبدع ذاته وأنانيته فيدرك أن عليه مسؤولية تحمل عبأ قيادة الحياة في مجتمعه وتوجيهها"²، يعد المجتمع مصدرا مهما للشعر ومنبعا مهما من منابع الإبداع الشعري بمعنى أن الشاعر يستقي من أحداث واقعه ما يثرى تجربته الشعرية فتولد المعاني لدى الشاعر نتيجة الأثر الفعال الذي تحدثه في عمقه، أزمات وهموم الوسط الذي يعيش فيه التي بدورها تلهب عواطفه وتوقض أحاسيسه لتظهر موهبته في شعره وتصبح قصيدته مصدر إحساس الشاعر بالقوة ووسيلته المثلى للانتصار وتلبية طموح الانسان والطاقة التي ينتصر فيها على الأزمات لتصبح الأزمة حافزا لإبداع الشاعر وإبداعه يستند أساسا إلى الإيمان بأنه محط آمال الجماعة في تغيير واقعه.

¹ عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1993، ص257.

² أمال ديبو، الالتزام في شعر بدر شاكر السياب، ص47.

الالتزام جوهر النص الشعري وأداته الفعالة في مواجهة الواقع ومشكلات المجتمع "ولاشك أن كل مجتمع معاصر له قضايا محلية الخاصة وهي قضايا تتشابه في مجتمع آخر لكنها مع ذلك تظل قضايا محلية تنتظر الحلول السريعة"¹، يمثل الالتزام صفحة هامة وسمة بارزة في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ومن أهم المؤثرات وأشدّها تعميقاً في حركة الشعر وقد فتح الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي أمامه الكثير من المنافذ للسيطرة على الشعر المعاصر وبعث روح الاندفاع والإصلاح والنهوض والتأثير في وجدان الجمهور ومهدت له الطريق لمواجهة هذا الواقع وتحقيق آماله بعد الظلم والتهميش وسياسة الاستعمار الذي تعرضت له الأمة العربية.

عرفت البيئة العربية في هذه المرحلة أكبر الهزات خلفت جرحاً وآلاماً كثيرة ونتيجة ذلك هزت الضمير العربي عامة وانفجرت عواطف الشعراء خاصة مما جعل الالتزام مؤثراً قوياً في اتجاه الشعر العربي المعاصر " وأبرز ما يميز شعراءنا المعاصرون أنهم يعون تجاربهم وعيا كافياً ويدركون حقيقة مواقفهم المختلفة، وكيف تتخذ هذه المواقف مع ذلك مضموناً موحداً"²، من المعروف أن الشعر العربي لصيق بالمجتمع، وعليه فقد تجاوب الشعر مع الواقع العربي في هذه المرحلة الحرجة من التاريخ العربي فاكتسب الشعر من هذا الجو طاقة جديدة لأنه وجد أهدافاً وركائزاً واضحة يسعى من أجل تحقيقها، ولدى شعراء هذه الفترة إنتاج كبير يمثل روح هذه الحقبة حيث صوروا هذا الواقع في صورة أشد تأثيراً وأكثر إيقاعاً في النفوس.

ساعدت ظروف الوطن العربي على ظهور الالتزام في الشعر بشكل واضح وتأثر الشاعر العربي بالأوضاع التي شهدتها مجتمعه دفعت بهذا الأخير بقوة إلى أن يلتزم

¹ عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص 375.

² المرجع نفسه، ص 599.

بالضرورة بقضايا هذه الأمة في خيرها وشرها أو فشلها وانتصارها وقد تمكن معظم الشعراء أن يعبروا عنها بصورة مجسدة " وهكذا حمل الشعر العربي الحديث في معظم نتاجه رسالة الالتزام وتحولت القصيدة في جو الأطر الحضارية الحديثة التي خلفتها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثابتة في العالم العربي إلى موقف يتصل مباشرة أو غير مباشر بقضية من قضايا العرب المصيرية"¹، لاسيما الشعر العربي المعاصر الذي كان دائما وثيق الصلة بظروف المجتمع وواقعها المرير، الذي نشأ عن الثورات العربية في مختلف البلدان العربية، خلفت أزمت نفسية واجتماعية نتيجة الانكسارات المتتالية السائدة آنذاك.

عاش الشاعر العربي هذا الواقع الممتلئ بالقمع والعبودية وتألم لحاله فكان هذا حافظا مهما في إبداعه الشعري، جاعلا من قصيدته منطلق لتجاوز بؤس الواقع " فانغمس الشعراء في الحياة العربية العامة، وشاركوا مجتمعاتهم همومها وقضاياها، وانعطفوا على معضلات القرن العشرين وأعراضه الحضارية والميتافيزيقية وعلى مشكلات الانسان العربي وتحولات واقعه وإمكاناته الكبرى في البعث والنضال فعالجوها في أشعارهم بعد أن عانوها أشد معاناة"²، لقد عانى الشاعر المعاصر أشد معاناة من الظروف المتعددة والتغيرات المختلفة في واقعه لأنه أكثر احساسا بهذا الواقع الذي يعيشه مجتمعه كيف لا وهو يملك أقوى الأسلحة لتوجيه الأمة الوجهة الصائبة ساعيا بذلك لتحقيق سلاماتها والمحافظة عليها من أي هلاك قد يصيبها فالشعر يملك قدرة واسعة لاستيعاب الحياة وفهمها بكل ما فيها لذي يتناول قضاياها ومشاكلها ويوجب على الشاعر فهم الواقع ومعرفة المشكلات الانسانية وعيا كاملا لكي يتمكن من التعبير عنها وتقديم الحلول المناسبة المؤثرة.

¹ أحمد أبو حاقا، الالتزام في الشعر العربي، ص 288.

² المرجع نفسه، ص 387.

بناء على ما سبق نستطيع القول أن الالتزام في الشعر المعاصر وليد البيئة ونبض المجتمع العربي باعتباره المسجد الحقيقي للواقع الذي يعيشه أفراد المجتمع مما جعله ذو أهمية كبرى في حياة الأمة العربية لاسيما في الشعر، وكان أبرز وسيلة للتعبير عما يختلج في النفس مكنت الشاعر من نقل كل مشكلات الناس وكل انشغالات مجتمعه بشكل فني إبداعي ليصبح بذلك الالتزام من سمات الشاعر المبدع.

3. دوافع الالتزام في الشعر العربي:

تعددت أوجه الالتزام وأسبابه في الشعر العربي وهذا نظرا لعدة ظروف، فتتوعدت المواضيع التي طرحت في هذا الشأن والتي دفعت الشاعر إلى الالتزام ومن بين هذه المواضيع تلك الأزمات التي يعيشها العربي أزمة تلوى أزمة، وكانت من الدوافع الرئيسية إلى الالتزام، ونظرا لضيق المجتمع العربي وما يعيشه من أزمات طاحنة واستعمار وسوء الأنظمة الحاكمة ساهمت أيضا في التزام الشاعر العربي، فالشعر ما هو إلا صورة طبق الأصل لما يعيشه المجتمع من صراعات ولهذا ظهر مجموعة من الشعراء اتخذوا من الالتزام مبدأ لهم فكان لكل شاعر ودفاعه نحو الالتزام، ومن بين كل هذا وذاك هناك أمور أعطت للالتزام دفعا قويا وكانت منبعا لكتاباتة.

1.3. الاحتكاك بالغرب:

يعد الاحتكاك بالغرب من أهم الأسباب والدافع الرئيسي إلى ظهور ونشأة الالتزام في الشعر العربي والأدب العربي بصفة عامة وهذا عندما أصيب العرب بالدهشة والحيرة وهذا لما رأوه من الكم المعرفي الهائل الذي وصل إليه الغرب، في حيث ظلت الحضارة العربية في الحضيض، والذين ظنوا في أنفسهم أنهم أقوى الحضارات في العالم، وكان الاحتكاك بدأ ما " بين أوائل القرن 19 وأواسط الأربعينات من القرن العشرين، وهي مرحلة الاستعمار

الغربي، في مرحلة الاتصال بثقافته وحدثته¹، وهذا الاتصال ولد شعورا غريبا في المجتمع العربي وفي الشعراء والأدباء بصفة خاصة وهذا لما رأوه من هذه الحضارة الهائلة والعظيمة، وإلى المدى الكبير الذي وصلوا إليه من النتائج المعرفي وتنوع المذاهب الأدبية والفلسفية والمدارس النقدية وهذا لم يكن عند العرب.

لم يعرف العرب هذا التنظير وهذا الضبط في المعارف، ولهذا تأثروا بالغرب كثيرا، ولأن العرب انبهروا بالغرب بدرجة لا توصف في الجانب المعرفي ولهذا جعلوا من الحداثة مبدأ لهم " وبعض الأسباب التي جعلت المفكرين العرب "الحديثين" ينغمسون في صدمة الغرب الحديثون، وينظرون إلى الحداثة منجزا ثقافيا في الدرجة الأولى²، ولهذا حاولوا التكيف مع هذا الإنصدام الثقافي وحاولوا مسايرته وهذا بدراسة مختلف المناهج الأدبية والمذاهب الفلسفية المختلفة المعاصرة التي لم يكن يعرفها العرب وحاولوا إدخالها على الفكر العربي وتطبيقها على مختلف الآداب العربية الشعرية منها والنثرية.

ونظرا لما يعيشه العرب من أزمات مختلفة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، وحتى من الجانب الاستعماري نجد المفكر العربي والشاعر بصفة خاصة ارتبط ارتباطا وثيقا بالمذهب الواقعي، لأنه أقرب المذاهب الفكرية التي تعبر عن أوضاعه، وكأن الشاعر وجد منفذا ومهريا في هذا الاتجاه الذي كان يمثله ويظهر الانسان العربي فيه " وقد ظهر الاتجاه الواقعي للشعر العربي حوالي آخر منتصف هذا القرن والواقعية فشِعْرًا المعاصر تظهر في نوع التجارب وفي الموضوعية وفي الصياغة والصور³، لأن هذا المذهب كان يمثل الواقع

¹ أدونيس، الشعرية العربية، دار الأدب، بيروت، ط2، 1989، ص82.

² المرجع نفسه، ص84.

³ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر لطباعة والنشر والوزيع، القاهرة، دط، 1997، ص485.

ويمثل الصورة الحصرية للواقع وكان هذا ما يبحث عنه الشاعر العربي، فوظفه بطريقته الخاصة ليمثل ويظهر بذلك الواقع العربي المتدني من كل الجوانب ويساهم بذلك في التغيير. وأهم ما جاء به هذا المذهب هو الالتزام، فالالتزام الشاعر هو تصوير المضطهدين فكان من الأسباب التي جعلت شعراء العرب يتبنون هذا المذهب، ولأنه من المذاهب التي تدعو إلى الالتزام، وهذا ما يثبت أن فكرة الالتزام ما هي إلا نتيجة الاحتكاك بالغرب وهذا الاحتكاك من الدوافع التي أدت إلى ظهور الالتزام في الشعر العربي " أما في النقد الأدبي الحديث فنشأة فكرة الالتزام الأدبي كمذهب فلسفي نتيجة الاحتكاك الثقافي بالغرب وأصبحت في طليعة القضايا التي شغلته"¹، وبهذا الارتباط الوثيق بالواقعية ومن ثم الالتزام ظهر شعراء تبنا هذه الأفكار وحافظوا على مواقفهم وقضايا مجتمعهم بكل صورها المختلفة ومن هنا ندرك رغم السلبات المختلفة والكثيرة التي أتى بها الغرب الذي سيطر على أفكار الأدياء والشعراء إلا أنه هناك بعض الجوانب المشرقة من هذا الاحتكاك أهمها التعرف على مختلف المذاهب الأدبية والنقدية والفلسفية كما ساهمت في تطوير الشعر العربي.

وعلى هذا الأساس ظهر فيه الالتزام والذي ساهم فيه الشعراء باختلاف قضاياهم على إعطاء دفع قوي للمجتمع في المجابهة والمحاربة بالقلم وأعطت لهؤلاء حرية كبيرة في التفكير وإبداء الرأي ولا يخفون من استبداد المستعمر ولا من الأنظمة الجائرة المختلفة، هكذا إذا كان الاحتكاك بالغرب من الدوافع الرئيسية في التزام الشاعر العربي.

2.3. نكبة العرب:

شكلت نكبة فلسطين خيبة أمل كبيرة في نفسية أدياء العرب والشعراء بصفة خاصة، ولم تقتصر هذه النكبة على الطبقة المثقفة فقط بل كل المجتمع العربي أصيب بهذه الخيبة

¹ عبد الحسين فقهي، إضاءات، قضية الالتزام بين الخطاب النقدي والشعري في الأدب العربي المعاصر، إضاءات نقدية، س8، ع32، 2018، ص16.

وبدأ في التساؤل لماذا هزم العرب بطريقة مذلة وشنيعة أمام عدو واحد رغم أنهم اتحدوا " لقد شكلت هزيمة 1967م ما يشبه إلى حد كبير الهستيريا الجماعية ولكنها بقيت ما منه، فانعكست تفاعلاتها على دواخل أفرد المجتمع العربي مسببة حالة من التمزق الداخلي"¹، وكانت هذه النكبة من أقوى الأسباب التي أيقظت الشاعر العربي وأرجعته إلى أرض الواقع بعدما كان يظن نفسه الأقوى بين كل المجتمعات وهذا من خلال تغنيه الدائم بالقديم وبطولات العرب والمسلمين.

انعكس ذلك سلبا على العقلية العربية والمسلمة " فقد توالى أزمتان كان التغني بالقديم، والفخر بالأمجاد والمباهاة، بمآثر الأجداد، الشغل الشاغل لأمتنا، والمنشودة المحببة لأبنائها، حتى أدى إلى ذلك إلى فقدانها الإحساس بالحاجة إلى العمل الدائب، والجد الموصول، والحياة المطلعة كما فقدت قدرتها على الحركة والعمل والقوة والبناء"²، وبعد هذه النكبة صار العربي يراجع حساباته بهذا التغني الذي يتغنى به على القديم وأعطت له دافعا كبيرا في المواجهة بكل الطرق الممكنة.

ساهمت هذه النكبة في ظهور مفكرين وشعراء عرب وضعوا أصابعهم في نقاط الجرح بطريقة مباشرة وبدأوا يعبرون عن أفكارهم واعتقادهم الذي كانوا يحملونه في هذه النكبة التي أظهرت لهم الحقيقة المرعبة ووضعته أمام الأمر الواقع لهذا سخر الشعراء أقلامهم لمجابهة هذه النكبة وكانت من الأمور التي ادعت عليهم الالتزام وتغيير المضمون الشعري بشكل كبير وكانت له أهمية أكثر من السابق " منذ نكبة عام 1948 بدأت سطور المضمون الفكري للشعر العربي من التمرد الراض المنسوب بمشاعر الغربة الحزن والميتافيزيقي إلى

¹ خالد بريش، هزيمة 1967 فتحت أبوابا موصدة في الإبداع، عرب 48، 2017،

<http://www.arabe48.com>

² بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص11.

التمرد الايجابي "1، فكانت من أهم الدوافع الكبيرة في التزام الشاعر الذي يشعر بداخله بالقومية العربية والذي تهمة القضايا العربية الكبرى والذي ما يزال غيورا على وطنه.

لهذا مارس الشاعر العربي أفكاره بقوة القلم الذي يمتلكه، وهذه النكبة أيقظت الشاعر العربي وكيانه الداخلي التائر اتجاه الأنظمة العربية بحد ذاتها وضد الاحتلال الصهيوني القاهر بصفة خاصة ولهذا " بدأت بعض الأصوات من هنا وهناك تطلق بصوت عالي يشبه الصراخ بعدما كانت باهتة وغير مسموح لها بالتعبير طارحة إجراء مراجعة في الموروث التاريخي الديني والفكري لكل المنطقة "2، وبما أن الالتزام يرتبط بالحرية المطلقة كانت الظروف قبل هذه النكبة تحاصر الأقلام وكل ما يقال، فكان لا يسمح في قول كل شيء، وأما بعد هذه النكبة وجدت هذه الأقلام متنفس من الحرية البالغة التي بدأت تسخر أقلامها بطريقة مبدعة وكان لها فسحة من حرية، وبدأ هؤلاء الشعراء العرب يظهرن كأصوات صارخة على هذه الأنظمة السائدة والجائرة فأظهرت هذه الأقلام العيوب التي تخص المجتمع العربي بصفة عامة.

بدأ هؤلاء الشعراء يدعون إلى مواكبة العصر وإعادة النظر في الموروثات السائدة في المجتمع العربي دينيا وتاريخيا ودعت إلى الكلام بما هو حاضر فالمجتمعات تقاس بحاضرها وليس بماضيها " فمنذ نكبة فلسطين في ذلك العام بدأت مفهومات جديدة تتحرك في الوجدان الجماهيري في المستوى العربي "3، فهذه النكبة غيرت عدة مفاهيم كانت تسود في المجتمع العربي وكانت من أهم الدوافع في التزام الشاعر العربي.

¹ عبد الحسين فقهي، قضية الالتزام بين الخطاب النقدي والشعري في الأدب المعاصر، ص21.

² خالد بريش، هزيمة 1967 فتحت أبوابا موصدة في الإبداع، عرب48، 2017،

<http://www.arabe48.com>

³ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، ص396.

ذلك الاحساس بالانتماء كان كافيا في دخول شعراء العرب في غمار الالتزام والخوض فيه بكل جرأة وعدم الخوف، فالخوف الذي كان يسود فيما مضى هدمته هذه الأقلام التي عوضت عن تلك الأسلحة الخائبة والتي خيبت آمال العربي وآمال مجتمعه وحمل الأدباء لواء هذه الحرية وأصبحت كمبدأ بالنسبة له تعوض الخيبة التي سببها الجنود وحكام العرب " وكان من الطبيعي أن تتأثر أقلام المبدعين وتناجي بتلك الهزيمة الشنعاء بشكل مباشر لأن الكتابة، بحد ذاتها ما هي إلا فيض من تلك الدواخل الممزقة"¹، فساهمت الكتابة والشعر بصفة خاصة في تحويل هذه القضية إلى قضية قومية عربية بشكل عام تخص كل المجتمع العربي والمسلم بصفة خاصة ولم تقتصر على الشعب الفلسطيني فقط فكانت هذه القضية أمة واحدة وليست قضية فلسطين لوحدها.

هكذا إذن هذه النكبة من أهم الدوافع التي جعلت الشاعر العربي يدخل في الالتزام لما حملته هذه النكبة من خصوصيات أولها أحاطت الشاعر العربي أمام الأمر الواقع الذي يظهر فشل الأنظمة العربية في المجابهة وأحاطته أمام الأمر الواقع والتي أظهرت أن هذه الأنظمة لم تتفاهم يوما وأنها تتصارع وراء المصالح ولا يهتمها الشعب والمجتمع وأحاطته أمام الأمر الواقع مرة أخرى في أن يعيد حساباته في طريقة التفكير السائد، ولهذا جعل الشعراء الالتزام قضية لأن الشعراء يستطيعون والتعبير عن المجتمع بأفكارهم في مختلف الأشعار التي يكتبونها وأيضا محاولة تحرير فلسطين واسترجاعها من خلال توعية المجتمع بمختلف الأشعار التي يكتبونها، هكذا إذا كانت النكبة من أهم الدوافع التي أدت الشاعر العربي إلى الالتزام.

3.3. المجتمع والقومية:

¹ خالد بريش، هزيمة 1967 فتحت أبوابا موصدة في الإبداع، عرب48، 2017،

<http://www.arabe48.com>

نظرا للظروف التي يعيشها العربي وخاصة في فترة ما بين الحربين أي في وقت الاستعمار الغربي في البلاد العربية وجب على هذه البلدان الاتحاد والوقوف جنبا لجنب من أجل مساندة بعضها البعض أمام العدو الواحد وهو الاستعمار الغربي.

على هذه الخطى سار شعراء العرب لهذا شكلت القومية العربية أهم المواضيع لهؤلاء الشعراء والدفاع عن الأرض والوطن ولهذا كانت هذه القومية من الدوافع التي أدت إلى التزام الشعراء في الوطن العربي " فلا ريب في أن قضية الوحدة القومية التي كانت محور النضال منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين هي القضية الكبرى التي ظلت شغل العرب الشاغل في فترة ما بين الحربين ثم قفرت إلى الواجهة بعد الحرب العالمية الثانية"¹، في هذه الظروف السائدة في العالم أجمع ساهمت في أن يكون قلم الشاعر العربي له رسالة معينة وهي رسالة توحيد الصفوف وإعادة النظر في طريقة تسيير العرب وإخراجهم من تلك الوضعية السائدة.

حاول الشعراء محاربة الاستعمار بالأقلام والكتابة وبطريقة تثبت أنه هناك في البلدان العربية أناس واعون ويدركون تمام الإدراك ما يفعلون " وعند ذلك وجدت ثورية الشعر سندها القوي في هذه الثورة، فلم تعد ثوريتها قاصرة على إطاره الخارجي كما كان الأمر في البداية، إنما صارت ثورية في مضمونه كذلك"²، فكان جل شعراء التزموا بقضيتهم الموحدة والواحدة وكانت هذه الثورات والبطولات التي يقوم بها هؤلاء الثوار والمجاهدون على أرض المعارك من الأسباب والدوافع التي استلهمت الشعراء في كتاباتهم فصاروا يتغنون ببطولاتهم ويصورونها بأدق تفاصيلها.

¹ أحمد أبو حاققة، الالتزام في الشعر العربي، ص 393.

² عز الدين إسماعيل، الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 397.

ومثلوا بهذا صورة تعكس هذه الوضعية التي يعيشها المجتمع العربي بأكمله يا إما من حيث هذه البطولات أو من حيث بطش المستعمر، وما كان أيضا يجمع هؤلاء الملتزمين الظروف التي يعيشها المجتمع العربي التي كانت قضية واحدة بالنسبة إليهم "قضية الثورة هي قضية الشعر العربي كله، وعلى هذه أهم القضايا المتعددة شغلت حيز واسع من هذا الشعر وهي الالتزام فيه ومنه جوهره"¹، فحاول هؤلاء الشعراء بهذا أن يكون نضالهم شأن الذي يناضل في الجبال وإن اختلفت طرق النضال لكن كان الهدف واحد وهو إخراج الاستعمار وإظهاره بصورته الحقيقية بعدوانيته وبتشبهه فكان قلمه لا يستهان به فهو أوصل رسالة الحرية إلى العالم أجمع رغم كل القيود التي قيد بها.

هكذا إذا كانت الثورات العربية المختلفة أهم منابع الالتزام وأهم الدوافع التي أدت بالشعر العربي إلى الالتزام رغم اختلاف بؤر الثورات، فالشعور الوجداني القومي كان كافيا ليحرك مشاعر هؤلاء الشعراء ويدفعوا أقلامهم نحو الالتزام.

كانت الثورات العربية المختلفة من أهم دوافع الالتزام لكن لم يقتصر الالتزام على الثورات المختلفة فقط، رغم أن هذه الثورات كانت ذا أهمية بليغة إلا أن الشاعر العربي تعددت دوافعه نحو الالتزام فشغل أقلامه في مختلف القضايا الاجتماعية التي يعيشها المجتمع فحاول هؤلاء الشعراء دفع المجتمع لما هو أفضل وهذا بمحاولة إنارة عقله بالكلمات الشعرية التي يقولها " من أبرز القضايا التي شغلت وجدان الشاعر العربي الحديث قضية تحرير الانسان العربي فكريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا"²، وحاولوا هؤلاء الشعراء توجيه المجتمع نحو الأفضل وتوعية ومحاولة إعطاء دفع قوي في أن يحاول تغيير بعض المعتقدات التي تسيطر على أفكاره والتي أخدمت ملكة العقل لدى الإنسان العربي.

¹ أحمد أبو حاقا، الالتزام في الشعر العربي، ص 297.

² المرجع نفسه، ص 393.

كان مسابرة ومواكبة العالم كان هدف هؤلاء الشعراء وهذا ما حاولوا تطبيقه على شعرهم فكانت " التجربة التي يمر بها العالم العربي في هذه الحقبة تجربة، يتحدد في معنى الثورية على المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية"¹، فكان الشاعر ضد هذه الأنظمة الحاكمة وطريقة حكمها فحاول تحرير المجتمع منها وتحريره من القيود التي تمارس عليه فحاولت تحرير الفكر وأبدت رأيها بدون خوف.

بعيدا عن السياسية كان همُّ الشعراء أيضا تحرير المجتمع، والأعراف التي لا أساس لها لا من الدين ولا من حيث الأخلاق الانسانية بصفة عامة " كانت على الذات في هذه المرحلة، والمقصودة بالذات هنا الذات الاجتماعية أن توجه صعوبات التحول والتغيير وحل المتناقضات في سبيل التقرب والتماسك، وهي ما تزال تعيش فترة في الواجهة شاعرة بمسؤوليتها الكبيرة إزاء نفسها"²، وكان التعبير عن هذه المشاكل الاجتماعية تستلزم على الشعراء شجاعة كبيرة وقدرة هائلة في التعبير حتى لا ينفر منه المجتمع، ولأن المجتمع في تلك الفترة كان لا يقبل ببساطة الأفكار الجديدة، فكانت كيفية توصيل الرسالة تستلزم الشاعر مهارة عالية وحبكة فائقة في كتاباته الشعرية.

رغم كل هذا لم يتفانى الشاعر في أداء واجبه الوطني قبل كل شيء رغم خطورة المواضيع التي يتطرق إليها، فالالتزام في حقيقة الأمر يتطلب شجاعة كبيرة من الشعراء وغايته تكمن في هذا الصدد أي في المشاركة المتنوعة في قضايا المجتمع " ويراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعر والفن في القضايا الوطنية والإنسانية فيما يعانون من آلام وما يتبنون من آمال"³، ولهذا كانت القضايا الاجتماعية من أهم القضايا التي حاولوا الشعراء الالتزام فيها لأن غاية الالتزام كله تكمن فيه فكان الشاعر من أهم الذين يدافعون

¹ عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص 398.

² المرجع نفسه، ص 397.

³ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 456.

ويمنحون للمجتمع قوة المواجهة ويزرعون في نفوسهم الثقة ولهذه الظروف كلها كانت القومية والأوضاع الاجتماعية التي يعيشها المجتمع العربي من أهم الأسباب التي دفعت بالشعراء نحو الالتزام.

حقيقية أن الالتزام دوافعه كثيرة ومتعددة فلكل شاعر والقضية التي يدافع عنها والتي جعلت منه ملتزماً إلا أنه حاولنا أن نحدد دوافع الالتزام في الشعر العربي في بعض النقاط لأنها كانت ذا أهمية كبيرة، ومن أهم الأسباب التي دفعت الشعراء إلى الالتزام كانت هذه النقاط أي في تلك الصدمة والاحتكاك الذي كان مع الغرب ومن نكبة فلسطين والزعزعة التي أحدثتها في نفوس الشعراء بصفة خاصة والمجتمع العربي بصفة عامة، وأخيراً القضايا الاجتماعية المتعددة القومية الثورية منها أو التخبطات الاجتماعية الأخرى من تدهور في المستوى التعليمي وقتل العقل الذي تمارسه الأنظمة أو بعض الأعراف التي سيطرت على المجتمع العربي والتي لا وجود لها في الأصل الديني ولا العقلي، فكل هذه الظروف والأحداث المتوالية ساهمت ودفعت الشاعر العربي إلى الالتزام وجعلته يناهض كل هذا ويدافع عن أفكاره بكل جرأة وعدم الخوف.

4. شعراء الالتزام والقضايا العربية:

ألهمت الثورات المختلفة في أقطار عالمنا العربي أقلام مختلف الشعراء العرب حيث اتخذوا من هذه الثورات المختلفة منبعا لكتاباتهم ولم يكتفوا بإظهار هذه الثورات، أي جوانبها المختلفة، بل صاروا يدافعون كما يدافع المناضلون في الجبال وكما الذين يحملون السلاح، فإن اختلفت طرق الدفاع عن الأرض والوطن، وحتى النزعة القومية التي جعلت من الشاعر يدافع عن البلاد العربية مهما تباعدت الحدود الجغرافية.

ولهذا فالنظام الشاعر العربي الحديث يثبت مدى تفاعله مع هذه الثورات يا إما أخذ العبرة منها لإعطاء دفع لثورات أخرى من أجل النهوض ويا إما المشاركة الفعلية أثناء

الثورات بحد ذاتها، ولهذا لا يقل شأن الشاعر عن شأن ذلك الذي يحمل السلاح في الجبال فالجهاد واحد والضغوطات من طرف السلطات المستعمرة واحدة، وما يميز الشاعر عن المجاهد أن الشاعر بتوجهاته ودفاعه عن المظلومين أينما كان نجدهم يكتبون عن ثورات أخرى غير التي في بلادهم، فالنزعة القومية جعلت أقلامهم تعبر كل الحدود وخاصة أن معاناة المجتمع العربي واحدة سواء كان ذلك من طرف المستعمر أو حتى من الأنظمة الجائرة، وعلى هذا الأساس ظهر مجموعة من شعراء العرب اتخذوا من الالتزام مبدأ لهم وجعلوا من الثورات العربية رمزا لكتاباتهم ومن بين هذه الثورات نجد الثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية.

1.4. الثورة الجزائرية:

احتضن الشعر العربي الحديث الثورة الجزائرية وأبطالها فعبر عن الكفاح والتضحية التي قدمها الشعب الجزائري ابان الثورة ضد المستعمر الفرنسي، وذلك في العديد من القصائد والمحافل ومن بين هؤلاء الشعراء شاعر الثورة مفدي زكريا، وبدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي.

1.1.4. مفدي زكريا: تعتبر الثورة الجزائرية من الثورات التي تركت أثرا في نفسية

الشعراء لما حملته من بطولات واستشهاد عدد كبير من المجاهدين وهذا كله من أجل الاستقلال ونيل الحرية التي لا طالما حلموا بها.

ولهذا نجد الشعب الجزائري دافع من أجل هذه الحرية بالنفس والنفيس، فعزيمة هذا الشعب ولدت شعراء آمنوا بالقضية الجزائرية والتي دافعوا عنها بكل ما أتوا من فكر ولغة وجعلوا منها مصدر إلهام، فكانت هذه الثورة التي دامت سبعة سنوات بمثابة معجزة حقيقية نظرا لقوة وصلابة المستعمر " ولقد استطاعت هذه الثورة أن تفرض احترامها على العالم وبالتالي احترام الوجود الجزائري وألقت دروسا في البطولات على شعوب الدنيا وتركت

الأجيال تتحدث عن أخبارها "1، ومن هنا كان مفدي زكريا أحد عناصر هذه الثورة المجيدة والذي حارب الاستعمار الغاشم بقلمه والتحق بصفوف الجهاد كما التحق حامل السلاح، وكانت كلماته مدوية كدوي الرصاص تحدث زعزعة كبيرة في نفوس جنود المستعمر.

ولم يكن نضال مفدي زكريا نضال قديم أي قبل اندلاع ثورة التحرير بل كان نضاله منذ أن كان في صفوف حزب الشعب الذي كان يطالب بالاستقلال، وكان دائما ما يؤمن بالحرية واليوم الذي تأتي فيه الحرية للجزائريين، ولهذا نجده من الأوائل الذين التحقوا بصفوف الثورة بعد اندلاعها وكانت " سنة 1955، التحق شاعر الثورة بثورته الجزائرية المباركة التي حلم بها طويلا ومؤثرا في سير الثورة ما عرضه للاعتقال مرة أخرى سنة 1956 "2، وفي سجن برباروس الذي سجن فيه مفدي زكريا كان إلهاما لمعظم كتاباته فلم يستسلم هذا الشاعر للقيود والاستبداد الذي فرض عليه من طرف المستعمر بل استمر في الكتابة والدفاع عن الأرض والهوية الوطنية وهذا إثر كتاباته المستمرة فإنه كتب ديوانه اللهيبي المقدس، القيادة الجزائرية وهو في داخل السجن.

أنا تائر

في الجزائر

أنا تائر

إن مت: تحي الجزائر...³.

¹ أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 698.

² عصام بن الشيخ، مفدي زكريا ... شاعر لم يموت، جنوب كم، 2019،

<https://www.dganoub.com>

³ أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 691.

إن مفدي زكريا في هذه الأبيات يصرح بصريح العبارة التزامه اتجاه الثورة الجزائرية وأبدى شجاعته، حيث يقر أن الجزائر أعلى من أي شيء حتى من حياته فلا شيء يضاهي حرية واستقلال بلاده، وهذا ما يعطي ذلك الدفع القوي للجهد الموجود في الجبال ويعطي لهم الحماسة في المواصلة وعدم الاستسلام.

لقب مفدي زكريا بشاعر الثورة لأنه صبَّ جُلُّ كتاباته لثورة الجزائرية ومآسيها المختلفة وظلم المستعمر " لتمثل التزام هذا الشاعر قضية بلاده في شعره ونضاله في سبيل الحرية والاستقلال"¹، ولهذا كان التزام مفدي زكريا التزاما قوميا وطنيا يمثل التحرر من المستعمر وكل القيود التي سلطها هذا المستعمر، فكان الدفاع عن بلاده من أهم المواضيع التي تتمحور عليها قصائد مفدي زكريا ونضال الشعب برمته وتكاثف الشعب الجزائري حول قضية تعتبر لا مثيل لها في العالم أجمع، وأعطى الشعب الجزائري دروسا في التلاحم والتكاثف من أجل القضاء على العدو الواحد وعدم السماح في أي شبر من أرضه.

فرنسا...دعى الأطماع، فالسعى فاشل
وان تيمتكم ثورة في بطونها
(فكل فرنسا) لا تسيع بها الصحرا
حفرنا لكم في بطن صحرائنا قبرا².

الشاعر هنا يشير إلى تمسك الشعب الجزائري بالأرض والثورات التي تسخر بها البلاد ويؤكد أن الجزائريين يدافعون على كل شبر من هذه الأرض حتى لو كانت الصحراء فمن يسعى وراء سلب هذه الأرض سيحفرون له قبرا فيه وما يؤكد الشاعر أيضا أن الثورة ثورة وطنية تخص كل الشعب الجزائري أينما وجدوا ولا تخص جهة على جهة أخرى وهذا ما يميز هذه الثورة المباركة التمسك القوي بالأرض.

¹ أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 688.

² المرجع نفسه، ص 699.

ولأن الثورة الجزائرية مليئة بالتضحيات والتضحيات خص الشاعر بعض القصائد يصف هؤلاء الأبطال وشجاعتهم في مواجهة الموت وعدم الخوف من أي استبداد ومن هذه القصائد نجد قصيد التي كتبها على أحمد زبانه وهو يواجهه مقصلة الموت والتي تسمى بالذبيح الصاعد.

قام يختال كالمسيح وئيدا	يتهادى نشوان، يتلو النشيدا
باسم الثغر، كالملائك، أو كال	طفل، يستقبل الصباح الجديد
شامخا أنفه، جلالا وتيها	رافعا رأسه، يناجي الخلود
رافلا في خلاخل، زغررت م	لأ من لحنها الفضاء البعيدا ¹ .

أعطى مفدي زكريا صورة حقيقية في هذه القصيدة للمجاهد الفذ الذي يذهب إلى المشنقة بدون خوف ومبتسم لأنه مؤمن بقضيته رغم أنه سيقتل لأن قتله يكون سببا في حرية طال انتظارها وهذا ما أحدث صدمة لدى العدو وأدهشتهم برودة أعصاب هذا المجاهد الفذ فكانت هذه الحادثة ملهمة لمفدي زكريا لكتاباتة حول هذا البطل الخارق، والذي أعطى قوة كبيرة للمجاهدين في إكمال مشوار التحرير فالموت من أجل الوطن شرف يعتز به كل شهيد " وإذا كانت معجزة التاريخ قد حدثت في الأزمنة الغابرة من غير أن تتجدد فإن الثورة الجزائرية تجاوزت في بعض ما شبهها هذه المعجزات وفعلت أمثال ما فعل موسى عيسى وإبراهيم ومحمد². وبعد استقلال الجزائر عام 1962 أكبر معجزة حدثت في ذلك القرن فنيل الجزائر الحرية بكل تلك الدماء التي أسيلت من أجل هذا الوطن كانت معجزة حقيقية، نظرا لقوة المستعمر وحداثة أسلحته مقارنة ببساطة أسلحة الجزائريين، لكن بفضل إيمان

¹ عصام بن الشيخ، مفدي زكريا ... شاعر لم يموت، جنوب كم، 2019،

<https://www.dganoub.com>

² أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 695.

والعزيمة والقوة التي كان يمتلكها الجزائريين تحصلت الجزائر على الحرية رغم كل تلك الدماء التي سلبت والرجال الذين قدمتهم الجزائر من أجل حريتها.

ولهذا كانت الثورة غير مقتصرة على الشعب والشعراء الجزائريين فقط بل كانت ملهمة لشعراء آخرين في جميع أقطار الوطن العربي الذي كانت هذه الثورة منبعاً لثورات أخرى وإيماناً منهم بانتصار الحق مهما طال ولهذا كتب العديد من الشعراء لهذه الثورة ومجدوها خير تمجيد.

2.1.4. بدر شاكر السياب: نظراً لتوجهات بدر شاكر السياب السياسية ونضاله

المستمر حول معظم القضايا العربية وحتى العالمية لم يكن من الغريب أن تكون لثورة الجزائرية مجموعة من القصائد في دواوينه يتغنى بها هذا الشاعر وتكون له كدفع من أجل إيصال رسالة إلى شعب بلاده والذي يطالبهم بالتحرك كما تحرك هذا الشعب الثائر وأيضا لباقي البلدان العربية المختلفة والتي تعيش الاضطهاد بكل نواحيه ولهذا فإن السياب " لم يستطيع أن يتخل عن الالتزام الذي يربط بين الفن وتحرير الشعوب كما لم يتخل عن مفهومات إنسانية عامة"¹، لهذا كان هذا المبدأ عنصراً هاماً في كتاباته ولهذا نجد أنه كتب للثورة الجزائرية وخاصة أن الثورة الجزائرية كانت من الثورات العظيمة التي حدثت في التاريخي الثوري العالمي وخاصة العربي، فانتفاضة الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي لم يشهد لها مثيل من عزيمة وإرادة في التحرر وذلك الوعي الكبير الذي يمتاز به هذا الشعب " ونهض الشعب الجزائري كالمراد يخوض المعارك ويرتاد المنايا ويدافع عن حريته وكرامته وهويته، وأرضه، وهو يتهادى واثقا من نفسه ومن قدره يملأ العالم بشرى وبانتصار المظلومين"²، بهذه الانتفاضة التي كسرت كل قيود الخوف أدهش هذا الشعب كل شعوب

¹ احسان عباس، بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، المؤسسة العربية لدراسة والنشر، بيروت، ط6، 1992، ص184.

² أحمد أبو حاقه، الالتزام في الشعر العربي، ص690.

العالم، ولهذا حاول مجموعة من شعراء العرب ومن بينهم السياب تمجيد هذه الثورة وتعظيمها في قصائده وليؤكد أحقية هذه الثورة من جهة ولأخذ العبرة منها ومن نجاحها والإيمان الذي آمن به الجزائريون وناضلوا من أجله بكل ما أوتوا من قوة وإمكانيات رغم بساطتها، ولهذا اخترنا قصيدتين لسياب أولها رسالة لكل المجاهدين وثانيها يمجّد ويعتزّ بامرأة بألف رجل وهي جميلة بوحيرد رمز الثورة الجزائرية.

استهل السياب قصيدته وهو يبرز بأن أرضه العراق وبلاده أنها كالمقبرة التي فيها الظلمة والتي لا يترك للإنسان فيها أي مجال للكلام والتعبير.

من قاع قبري أصيح

حتى تنن القبور¹.

وإن الحكم السائد في هذا البلد العراق يقيد كل حرية ولا يترك مجال لأي شخص أن يبدي رأيه وكل من يتكلم يضعوه في مقبرة ويحاولون إسكاته بكل الطرق ولكن رغم كل هذا لم يفقدهم الأمل وهذا في قوله.

من عالم في قاع قبري أصيح:

لا تياسوا من مولد أو نثورا².

ويعد الأمل الذي يستمدّه من هذا الشعب الجزائري الذي حمل الأمل لكل عربي وكل مضطهد في هذه الحياة، فالعبرة من هذا الشعب الذي نهض فتكاتف فيما بينه فلا اختلاف عقائدي أوقفه ولا إيديولوجية معينة، فهذا التلاحم هو السلاح لكل من يريد الثورة في بلاده،

¹ عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية لطباعة، بغداد، دط، ج1، 1981، ص268.

² المرجع نفسه، ص268.

فالأمل من أجل التغيير دائماً قائم رغم هذه القيود المسلطة وهذا ما يريد إيصاله السياب لشعبه في العراق، والجزائري الذي نهض بالنسبة إليه هو الحي بين كل شعوب العرب الذي هو ميت ولا يريد التحرك.

من عالم الشمس

هذه خطى الأحياء بين الحقول

في جانب القبر الذي نحن فيه

أصداؤها الخضراء

تنهل: في داري¹.

فوصف المجاهدين والثوار الجزائريين بالأحياء فكل من يناهض الظلم ويمشي وراء الحرية فهو حي ويقصد بأصداؤها الخضراء أن لون الأخضر رمز للحياة الذي يبعث الأمل وهو موجود في قبره هذا، فقد وصلت بواعت هؤلاء المجاهدين إليه وأعطته القوة للكلام، وهؤلاء الأحياء حركوا الوطن العربي وبلاده العراق خاصة ولهذا قال :

بشراك يا أجداث. حان النشور.

بشراك... في "وهران" أصداء صور².

وكانت الثورة الجزائرية بمثابة بشرى للوطن العربي أجمع وأملا له في التغيير، وفي هذه المدينة العريقة بدأ الأمل ينصب إلى كل بلدان الوطن العربي.

¹ عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص 270.

² المرجع نفسه، ص ن.

تعد جميلة بوحيرد من أهم الرموز الثورية الجزائرية بصفة خاصة والوطن العربي بصفة عامة نظرا لمقاومتها المستعمر الفرنسي ووقوفها ندا لندا أمام هذه القوة العالمية، فكانت شجاعته تضاهي شجاعة الرجال وأزيد رغم " أن جميلة بوحيرد لم تكن ابنة هذه الطبقة، بل كانت ابنة طبقة برجوازية مشرفة حرصت أسرتها على مواصلة تعليمها"¹، إلا أن هذا لم يمنعها من أن تكون ضد هذا المستعمر وتدافع عن بلادها بكل ما تملكه من قوة، فالحرية العظيمة ليست حرية المال والامتلاك وهذا ما أدركته جميلة بوحيرد خاصة أنها بنت متعلمة، وما جعل جميلة بوحيرد تكون أسطورة حقيقية في الوطن العربي وفي العالم الثوري أجمع أنه عندما " ألقى عليها القبض في أثناء سجنها تعرضت جميلة بوحيرد إلى عمليات تعذيب بغية للاعتراف بأسماء بقية التنظيم لكنها رفضت ذلك بشدة ولم تتمكن السلطات الفرنسية من انتزاع أي اعترافات لديها"²، وبهذا الموقف البطولي لها جعل مجموعة من الشعراء والأدباء يكتبون لها وجعلوها رمزا لكل بطولة وقوة لكل امرأة مضطهدة فهي قوة لكل أم ولكل امرأة عربية ولهذا ألف السياب قصيدته والتي تسمى "إلى أختي جميلة" يظهر لنا قوة هذه البطلة وشجاعته وأنها ملهمة لكل شاعر عربي فهي بمثابة أسطورة حقيقية، ونظرا لتوجهه الإيديولوجي الاشتراكي لسياب كان من الطبيعي أن يتأثر بكل شخصية ثورية.

لا تسمعيها ... إن أصواتنا

تخزي بها الريح التي تنقل.

باب علينا من دم مقفل

ونحن في ظلماتنا نسأل

¹ محمود حسن، جميلة بوحيرد رمز نضال المرأة العربية، اليوم السابع، 2018،

<https://www.youm7.com>

² المرجع نفسه.

من مات؟ من نبكيه من يقتل¹.

وهذه الأصوات تمثل كل صوت عربي يحن للحرية ويأمل بغد أفضل ويجعل من هذه المرأة دفع قوي لهؤلاء ومحسسة لكل من يريد أن يثور.

ولم يقتصر السياب في أبيات قصيدته لإبراز الدفع القوي الذي قدمته هذه المناضلة من أجل الحرية فقط، بل قدمها على هيئة البطلة التي سبلت نفسها من أجل أن يعيش غيرها وهي غير مبالية إذا قتلت أو عذبت لأنها وثيقة بقضيتها وعازمة لمبدأ الحرية.

يا من حملت الموت عن رافعيه

من ظلمة الطين التي تحتويه

إلى مساواة الدم الوارية².

وبهذا تكون هذه البطلة حاملة مشعل الحرية فادية بنفسها من أجل الآخر وهو شعبها الذي يعيش في ضيق من المستعمر الفرنسي ومجرد من كل حقوقه الانسانية وهي ناضلت من أجل هذا الشعب رغم أنها من الطبقة البرجوازية إلا انها ناضلت من أجل أن ترسم ضحكة على وجه طفل صغير وطامحة في العيش بسلام وغدٍ أفضل وهذا في قوله :

من أجل طفل ضاحكته السماء

فرحان في أرضه

وبعضه فرحان من بعضه

¹ عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص272.

² المرجع نفسه، ص273.

أحسسته يحبوا على راحتك¹.

ولأن جميلة سمحت في كل ما كانت تملكه من مال وعزٍ وأخذت غمار الكفاح من أجل حرية الوطن ولهذا مجدها السياب وجعلها أكثر نفعا من إله الخصب عند اليونان.

يا رب عطش نحن. هات المطر

رؤ العطاشى منه، رؤ الشجر

واليوم وليّ محفل الآلهة

اليوم يفدي تائر بالدماء².

فهي أعطت الأمل لهذا الشعب في الدفاع والحرية وأرجعت بكفاحها الأمل لهذا الشعب فهي روت هذه الأرض بدمائها وأعز ما لديها، ولأن الشاعر من الشعراء الذين تشبعوا بالثقافة الإسلامية، فشبه ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في كسر أصنام المشركين بما فعلته جميلة بوحيرد وهو كسر قيود المستعمر وأفكاره البالية والبدائية.

الشيب والشبان يفدي النساء

يفدي زروع الحقل يفدي النماء

صوت قوٍ من فقير نبي

ألوى يسعى الصخر، لم يضرب³.

¹ عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص 277.

² المرجع نفسه، ص 275.

³ المرجع نفسه، ص 275.

هكذا إذا مجد السياب هذه الثورة وهذا نظرا لعظمة هذه الثورة ومبدأها الأعظم وهو الحرية رغم الحصار الذي فرضه المستعمر إلا أن كل هذا لم يمنع الجزائري من الحرية والذي أتى به 1962م.

3.1.4. عبد الوهاب البياتي: اهتم الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي بالثورة

الجزائرية اهتماما كبيرا اعتبرها ثورته فتغنى بها وبأمجادها وتجاوب وجدانه معها أيما تجاوب، وتأثر بها أيما تأثر فقدم دعمه لها من خلال أعماله الشعرية معتزا بالثورة المجيدة حدين عظيم حولت الشعب الجزائري من شعب خائف جاهل مستسلم إلى شعب حضاري متكامل هدفه طرد الاستعمار الفرنسي والوصول إلى الاستقلال " فالثورة إذن عند البياتي فكرة تبني وتفلاح .. لأنه يستقرئ الأحداث ويستطلع المستقبل، مستقبل الجزائر بعد الانتصار، الذي سيكون بناء جميل وسبكا رائع لكل ما هدم¹، ومن هنا يتبين لنا مدى انبهاره العظيمة وقوة الثورة المجيدة وكفاح هذا الشعب الأبوي فازداد اعجابه بهذه وتجلي ذلك في قصيدته إلى مالك حداد فيقول:

الثورة العملاقة

الفكرة الخلاقة

تجرف في طريقها السوخ والطبول

والجيف المعطرة

والنخب الشائهة المبعثرة

تحرث في إصغارها الحقول

¹ عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، ج2، 1981، ص55.

تقيد صنع الرائع النبيل¹.

هكذا خلد البياتي ثورة الشعب الجزائري اتجاه الحرية والكرامة ضد المستعمر الفرنسي، وتعنى بهذه الثورة العظيمة بقدر عظمة شعبها أثبت مكانته الحقيقية بتضحياته بالنفس والنفيس وروحه القومية ويشق طريقه نحو الاستقلال رغم الامكانيات البسيطة لكنه يحمل بسلاح أكبر بذلك بكثير يتمثل في الروح الوطنية والوعي القومي المجيد.

بعد مقتل زعيم الثورة الجزائرية الشهيد العربي بن مهيدي على يد الفرنسيين في زنزانته بالسجن اهتز وجدان الشاعر البياتي وتأثر باستشهاده، فألف قصيدة "الموت في الظهيرة" لروح الشهيد البطل فيقول:

قبر أسود في نافذة السجن. وليل

وحمامات وقرآن وطفل

أخضر العيش يتلو

سورة "النصر" وقل

من حقول النور، من أفق جديد

قطفته يد قديس شهيد

يد قيس وثائر

ولدته في ليالي بعثها شمس الجزائر

¹ عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1995، ص491.

ولדתه الريح والأرض وأشواق الطفولة¹.

استهل البياتي قصيدته بوصف الشهيد العربي بن مهدي بالقمر داخل زنزانته في السجون الفرنسية وتغنى بأخلاقه النبيلة واهتمامه بتلاوة القرآن الكريم في السجن وتمسكه بعبادة الله وأرائه رغم كل أنواع التعذيب التي تعرض لها من قبل السلطات الفرنسية إلا أن شجاعته التي أرعبت السلطات الفرنسية انتهت في الأخير أن يغدر به ويقتل ويواصل الشاعر قوله:

كان في نافذة السجن مع العصفور يحلم

كان مثلي يتأل

كان سرا مغلقا لا يتكلم

كان يعلم:

أنه لا بد مالك

وستبقى بهذه الشمس هنالك

في ليالي بعثها شمس الجزائر

تلد الثائر في أعقاب ثائر².

افتخر البياتي بصمود مرهب الاستعمار الفرنسي وقاهرهم الشهيد البطل العربي بن مهدي الذي قضى شبابه وهو يناضل من أجل تحقيق حلمه وحلم الشعب الجزائري في الاستقلال والتحرر من الاستعمار، كان دائما وفيا لأسرار وطنه ولم يخذل الثوار تحمل كل

¹ عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص147.

² المرجع نفسه، ص248.

أنواع التعذيب الجهنمية لكي لا يبوح بحرف واحد عن أسرار الثورة التحريرية ليبقى هذا الأخير خيرا ما أنجبت الجزائر.

إلى جانب هذا البطل، اهتم البياتي بالمناضلة والمقاومة للاستعمار الفرنسي المجاهدة البطلة "جميلة بوحيرد" التي تعد من أبرز رموز الثورة التحريرية فأهداها قصيدة "المسيح الذي أعيد صلبه" فيقول:

كل ما قالوه كذب وهراء

اللصوص، الشعراء

الحواة الأغبياء

إنني أحسست بالعار لدى كل قصيدة

نضموها فيك

يا أختي لشهيدة

وأنا لست بصعلوك منافق

ينظم الأشعار مزهرا

وأعواد المشان

للأخي الإنسان، بالمرصاد

أعواد المشانق¹.

¹ عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 359.

أهدى البياتي هذه الأبيات إلى المناضلة الجزائرية "جميلة بوحيرد" عندما تم القبض عليها من طرف العدو الفرنسي، أثناء مشاركتها في جبهة التحرير الوطنية الجزائرية لمقاومة الاستعمار الفرنسي، فسخر من كلوا الشعراء الذين استغلوا الفرصة وكتبوا عنها وعبر عن استيائه من كل قصيدة يقرأها وكل ما قيل عنها في تلك الفترة وهو بدوره أخذ ببطولاتها واعتبرها حق النضال وحب الوطن.

تناول البياتي الثورة الجزائرية في نتاجه الشعري نتيجة انبهاره بعظمتها وقوتها، فجمع بين الحديث عن بطولات الثوار والتغني بأمجاد الثورة المجيدة مثل التغني ببطولات الشهيد العربي بن مهيدي، ونضال المجاهدة "جميلة بوحيرد" مثال الكفاح الإنساني، وبهذا ساهم بتشجيع الجزائريين بالتقدم والمضي دائما نحو الأمام لنيل الحرية والاستقلال وأثبت دور الشعر في بث روح الثورة في الأمة.

هكذا إذا استلهمت الثورة الجزائرية معظم كتابات العرب الشعرية والأدبية بصفة عامة فكانت خير مثال لكل شعب يريد الانتصار ضد الظلم كان داخليا أم خارجيا، وأيضا من أجل إعطاء هؤلاء دفع قوي للمجاهدين ويثبتون أن القضية الجزائرية قضية أمة وليست قضية بلد لوحده.

2.4. القضية الفلسطينية:

تعد القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي التزموا بها شعراء العرب لأنها تعتبر قضية قومية عربية والمساس بها مساس بكل الأمة العربية خاصة بعد التحالف والمؤامرات المتوالية التي حدثت ضد فلسطين بداية من وعد بلفور المشؤم إلى هذا التاريخ المعاصر، وما جعل الشعراء يتأثرون أكثر بالقضية الفلسطينية نكبة 1948م " تركت نكبة فلسطين عام 1948م أثرا واضحا في التاريخ المعاصر، فهي أشد ضراوة وأطول عمرا وأكثر عمقا ما جعلها أكثر انارة لمشاعر الشعراء الذين تركوا لنا تأثيرا أدبيا خصبا، يمتاز بالصدق في

العاطفة والبراءة في التصوير والسمو في الرؤى¹. فذلك القمع الذي مورس ضد فلسطين في أرضهم وتجريدتهم من كل حقوقهم وتحويلهم إلى لاجئين في أرضهم، أثر هذا كثيرا في نفسية الشاعر العربي ولهذا جعل قصائده تتجه نحو الالتزام بهذه القضية، ولفلسطين أهمية كبيرة في التاريخ العربي الاسلامي فهي أول القبلتين وفيها بيت المقدس الذي هو من البيوت التي تشد إليها الرحال، ولهذا فإن طمس كل هذا يعتبر طمس في الهوية العربية والإسلامية، لهذا نجد مجموعة من الشعراء التزموا بهذه القضية ومن أهمهم محمود درويش، نزار قباني، فدوى الطوقان.

1.2.4. محمود درويش: يعتبر محمود درويش من أعرق الشعراء العرب والذي

ظل يدافع عن قضية وطنه إلى اليوم الذي وفته المنية فكان صوت من أصوات الشعب الفلسطيني الذي سلبت أرضه غصبا منه ولهذا نجد محمود درويش " الثائر الذي حمل على كتفيه حملا وطنيا وقوميا ثقيلًا، رفض كل عروض السلطة والمناصب، لأنه يعرف أن قيمة الشاعر أعلى بكثير من قيمة السياسي"²، كان شعره يزلزل الكيان الصهيوني ويسبب له الحرج في كل مرة وهذا ما لم يستطيع حتى السياسيون فعله، فضل متماسكا بقضيته إلى أبعد الحدود ولم يستسلم للحظة واحدة.

ولأن اليهود حاول تجريد الفلسطيني من هويته وخاصة أن الفلسطيني في كل يوم تنتزع أرضه وتحول إلى اليهود لهذا " فالمأساة كانت تتعمق رغم ذلك بهجرة يهودية متزايدة إلى أرض فلسطين، وتزايد في بيع الأراضي العربية إلى اليهود وفي إقبال السلطة المنتدبة على استغلال المساحات الواسعة وإهدائها للجماعات اليهودية المندفعة على الأرض

¹ عماد عبد الوهاب الضمور، فلسطين في شعر محمود درويش، الدستور، 2017،

<https://www.addustour.com>

² فتحي الخطاب، محمود درويش... شاعر الجرح الفلسطيني، قناة الغد، 2018،

<https://www.alghad.tv/>

الفلسطينية¹، ولهذا كانت الأرض ذات مكانة عالية في الشعر الفلسطيني فمثلت الأرض الهوية والوحدة وأحقية الفلسطيني بأرضه والتي سلبت منه بالقوة ولهذا خص محمود درويش قصيدة كاملة عنوها بالأرض، وهذا لمكانة الأرض في القضية ونفسية محمود درويش نفسه.

أنا الأرض

الأرض أنت

خديجة ! لا تغلق الباب

لا تدخل في الغياب².

وبهذا القول "أنا الأرض" يؤكد محمود درويش هويته الفلسطينية ويؤكد أنه ليس دخيل على هذه الأرض وليس لاجئاً كما يسمى عند السلطات الاسرائيلية بل هو جزء لا يتجزأ من هذه الأرض ومن هويته الفلسطينية وخاصة أن قصيدة الأرض هي بمثابة وثيقة لأحداث شهر آذار الذي أقتتل فيه خمس فتيات ظلماً، ولهذا استعمل اسم خديجة والتي تدل على الأم الفلسطينية فالأرض والأم لها مكانة عالية وهي أكبر دليل على هوية الانسان.

أنا شهيد المذبحة

شهيد الخريطة

أنا ولد الكلمات البسيطة

رأيت الحصى أجنيته

¹ أحمد أبو حاققة، الالتزام في الشعر العربي، ص 639.

² محمود درويش، الأعمال الكاملة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 285.286.

رأيت الندى أسلحة

عندما أغلقوا باب قلبي عليا

وأقاموا الحواجز فيا¹.

يؤكد محمود درويش في هذا المقطع أنه كان شهيدا على تلك الأحداث المؤلمة والبشعة، ويؤكد على معاناة الشعب الفلسطيني ومعاناته هو بالتحديد وهذا عندما حاولوا تقييده وعدم السماح له بالكلام فهو يشير أنه مجرد ولد كلمات بسيطة وأنه ينقل ما تشهده عيناه أي أنه ليس له أي ذنب إن كانت الأرض أرضه وليست أرضهم وليس له ذنب إن كانوا هم الدخلاء وليس هو، إلا أنه رغم ذلك القيد ولم يسمحوا له بالكلام والكتابة لأنهم يعون جيدا أن ما يقوله حقيقة وأنه يستطيع بهذه الكلمات تحريك شعب بأكمله للمقاومة فهو يمثل خطر كبير بالنسبة إليهم ولهذا أقاموا الحواجز عليه.

والمغني يغني

ويستجوبونه

لماذا تغني؟

يرد عليهم

لأنني أغني².

ولم يكتفي في محاصرة وفرض القيود عليه بل استجوابه لماذا تغني، واختيار الشاعر الغناء لأنه أكبر دليل على الحرية والغناء رمز للحرية، ورغم أن الشاعر أستجوب إلا أنه

¹ محمود درويش، الأعمال الكاملة الأولى ، ص293.

² المرجع نفسه ، ص296.

بقي مصرا على موقفه لأن هذا الموقف نابع من القلب وقضية بلاده فلسطين ولهذا نجد في قوله:

هذا التراب ترابي

وهذا السحاب سحابي

وهذا جبين خديجة

أنا العاشق الأبدي "السجين البديهي"

رائحة الأرض توقضني في الصباح المبكر¹.

إن الشاعر عاشق لوطنه عشق الجنون وعاشق لأرضه وهويته الفلسطينية وهذا ما يؤكد في التراب ترابي أي أن هذا الوطن ملكه وليس هدية من أحد وهذه الملكية والهوية لا يفهمها إلا من أحب وطنه وترعرع فيه فكل شيء في الوطن جميل ولا يقارن بأي شيء لو كان الإنسان في أجمل بقاع الدنيا ورغم أن درويش نفي إلى فرنسا إلا أنه دائم الالتصاق بأرضه ووطنه وشعبه.

ولأن الأرض رمز من رموز الهوية وخاصة في القضية الفلسطينية نجد أيضا الأم أو المرأة فالمرأة أيضا رمز من رموز الهوية وهذا ما نراه في قصيدة محمود درويش "إلى أمي":

أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي

¹ محمود درويش، الأعمال الكاملة الأولى، ص 298.

وتكبر في الطفولة

يوما على صدري أُمي

وأعشق عمري

إذا مت

أُخجل من دمعي أُمي !¹.

وهوية الانسان دائما ما ترتبط بالأم وحنين الوطن يشبه حنين الأم فيحن إلى خبز وقهوة أمه وهكذا هو الوطن أيضا نحن إليه في كل شيء، وأيضا استخدام المرأة في القصيدة كاستخدام الأرض فكلاهما لهما قادسية كبيرة وكلاهما يرتبطان بالهوية والشرف فانتراع الأرض أو المساس بالأم كالمساس بالشرف وكل من يريد المساس بهما يلقي محاربين يدافعون عنهما بالنفس والنفيس.

هكذا هو محمود درويش رغم أنه أبعد وهو صغير من فلسطين إلا أنه بقي شديد الارتباط بوطنه وبقي في قلبه دائما وكأنه لم يفارقه أبدا وهذا ما يظهره في أشعاره الراضية للاحتلال الصهيوني والمدافع دائما لشعبه وأرضه فكان من أشهر الشعراء التزاما نحو قضيته فلسطين في العالم كله وهذا ما يجعله رامزا من رموز الشعر العربي وهذا من خلال الحفاظ على موقفه إلا أن وفته المنية.

2.2.4. نزار قباني: أشتهر الشاعر السوري "نزار قباني" باسم شاعر المرأة نظرا

لنتاجه الشعري الوفير عن قضايا المرأة، لكن بعد حرب 1967 المعروفة بنكسة حزيران وما خلفته من أحداث مؤلمة لعل أبرزها القضية الفلسطينية غيرت مجرى شعره وهذه النكبة

¹ محمود درويش، الأعمال الكاملة الأولى، ص106

بمثابة نقطة انطلاقه إلى نظم الشعر الثوري فنجدته يقول في قصيدته "هوامش على دفتر النكسة" التي حفظها الكبير والصغير في العالم ما يلي:

يا وطني الحزين

حولتني بلحظة

من شاعر يكتب الحب والحنين

لشاعر يكتب بالسكين¹.

تأثر الشاعر بالجرح الذي أصاب العرب، والحالة التي وصلت إليها البلاد العربية غيرت مساره الشعري بعد أن كان شاعر الحب والرومانسية ليتحول إلى شاعر سياسي بامتياز ملتزم بقضايا الوطن العربي بما فيها القضية الفلسطينية التي هزت كيانه شأنه شأن الشعراء في تلك الحقبة الحساسة ولعلها قضيته الأولى عبر من خلال شعره عن حزنه وآلامه وطرح مشكلات وهموم المواطن الفلسطيني وهاجم العدو الاسرائيلي في معظم نتاجه الشعري ومن هذا السياق يقول قباني " أقاتل من أجل تحرير الأرض من حوافر الخيول الاسرائيلية"² فكان هدفه شريف ومقدس وشعره بمثابة مرآة عاكسة لأحوال الأرض المحتلة نتج عن مشاعر صادقة وشفافة، حيث فجر غضبه في وجه الاحتلال الصهيوني من أجل وضع حد للظلم والاستغلال والدفاع عن وجود فلسطين والحث على ضرورة استرجاع الحقوق الضائعة فصور مدى تمسك هذا الشعب العظيم بأرضهم فيقول:

لن تجعلوا من شعبا

شعب هنود حمر

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، دط، ج3، دس، ص73.

² نزار قباني، قصتي مع الشعر، دن، ببيروت، دط، 2010، ص267.

فنحن باقون هنا..

في هذه الأرض التي تلبس في معظمها

إسورة من زهر

فهذه بلادنا

فيها وجدنا منذ فجر العصر

فيها لعبنا.. وعشقنا..

وكتبنا الشعر ..¹

بعد إدعاء الصهاينة أن فلسطين هي وطنهم وسلبوها من شعبها عبر "نزار قباني" عن حزنه وآلامه وحسرتة لهذه الحالة المؤلمة التي وصل إليها الشعب الفلسطيني مؤكدا رفضه التام لهذا الظلم والاستبداد وقد كان اجلاء الفلسطينيين من وطنهم الأمر الذي زادهم قوة وصلابة للدفاع عن أرض أجدادهم واسترجاع حقوقهم المسلوبة، فوقف المواطن الفلسطيني صامدا في وجه العدو على الرغم من الظروف الصعبة التي يمرون بها بعد أن سلبت حريتهم واختلست حقوقهم وطمست هويتهم القومية.

استمر اصرار "نزار قباني" في النضال مع إخوانه الفلسطينيين وساهم في زرع الأمل في نفوسهم وإنعاش وعيهم وبت روح المقاومة لكي يتمكنوا من الوقوف في وجه العدو، وحثهم على التقدم وعدم الاستسلام واليأس من أجل التحرير وإخراج العدو من أرضهم إذ يقول في قصيدته "منشورات فدائية على جدران اسرائيل":

يا آل اسرائيل، لا يأخذكم الغرور

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص167

عقارب الساعة إن توقفت

لا بد أن تدور ..

إن اغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالريش قد يسقط من أجنحة النسور

والعطش الطويل لا يخيفنا

فالماء يبقى دائما في باطن الصقور

هزمت الجيوش .. إلا أنكم لن تهزموا الشعور

قطفتم الأشجار من رؤوسها

وظلت الجذور...¹

برزت في خطاب "نزار قباني" إلى بني اسرائيل نبرة التحدي والطموح كان هدفها واضح في بعث روح المقاومة وخلق الأمل والاطمئنان في القلوب من أجل اثبات حق الشعب الفلسطيني وأنه صاحب الأرض المحتلة وأكد هذا الأخير أن انتصارات وجرائم الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني لا تخيفهم ولا ينقص من عزيمتهم قط ولا شيء يوقفهم من مواصلة النضال والإصرار على النصر من أجل مستقبل أفضل.

لم يعرف المواطن الفلسطيني الراحة والاستقرار ولم يهدأ له بال منذ أن سلبت منه حريته وشرده العدو الاسرائيلي من أرضه واستمراره في ممارسة السياسة القمعية وأبشع أساليب التعذيب وجرائم القتل والاعتقالات التعسفية رغبة في إخلاء الأرض من أهلها

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص176.

والسيطرة عليها كلياً، فاهتز كيان هذا الشعب النائر وأيقن أن الكفاح والمقاومة بكافة أساليبها وأشكالها هو السبيل الوحيد والأمثل لمواجهة المحتل المستبد يقول "نزار":

من قصب الغابات

نخرج كالجن لكم

من قصب الغابات

من رزم البريد، من مقاعد الباصات

من علب الدخان، من صفائح البنزين

من شواهد الأموات

من الطباشير .. من الألواح من صفائر البنات..

من خشب الصليبان ... من أوعية البحور ...

من أغطية الصلاة ..¹

اشتدّ إصرار الشاعر نزار قباني أن لا يكون الشعب الفلسطيني ضحايا العدوان الاسرائيلي وظلمهم حيث أثبت أن هذا الشعب العظيم مستعد للتضحية والمقاومة بشتى الأساليب رغبة منهم في استعادة حقوقهم الضائعة والتحرر من قيود العدو، وتعزيز الهوية الوطنية لإثبات وطنيتهم، وأن الدخيل الاسرائيلي مجرد مغتصب لا مكان له في أرضهم.

القدس عاصمة الدولة الفلسطينية لها مكانة حضارية عظيمة ومهد الديانات السماوية، فكانت محل اهتمام الشاعر الكبير نزار "نزار قباني" حيث تناول ذكرها في قصائده وتغنى

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص172.

بها محاسنها وكشف عن واقع الحزن والمعاناة التي يحيها أهل القدس والدفاع عنها وهي تحت حكم الاحتلال الاسرائيلي فيقول:

بكيت .. حتى انتهت الدموع

صليت .. حتى زادت الشموع

ركعت .. حتى ملني الركوع

سألت عن محمد ..

فيك، وعن يسوع

يا قدس، يا مدينة تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء¹.

استهل نزار قباني قصيدته بالبكاء على الوضع المؤلم والحالة المزرية التي وصلت إليها القدس المحتلة في ظل الاحتلال الصهيوني ومن ثم لجأ إلى ذكر بعض الرموز الدينية تعبيرا عن الظلم والمأساة التي يعاني منها أهل القدس الشريف على يد الكيان الاسرائيلي على الرغم من هذه الظروف إلا أن نزار ظل متفائلا بمستقبل أفضل تحظى به هذه المدينة الطاهرة يوما ومن هنا يقول:

يا قدس .. يا مدينتي

يا قدس .. يا حبيبتي

غدا .. غدا .. ويظهر الليمون

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص161.

وتفرح السنايل الخضراء والغصون

وتسفك العيون وترجع الحمام المهاجرة

إلى السقوف الظاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رباك الزاهرة ..

يا بلدي .. يا بلد السلام والزيتون¹.

صور نزار حبه الشديد للقدس، حيث وصفها بالحببية التي سلبت منه في غفلة فأصر أن لا يهدأ له بال مادامت بعيدة عنه، مؤمناً أنه مهما طال انتظرها ستعود يوماً ما إلى أحضانه وبهذا فتح نافذة الأمل في وجه الشعب الفلسطيني وغرس في نفوسهم مزيداً من الأمل والتفاؤل في تطهير الأرض المقدسة من الكيان الصهيوني وتعود أرض الزيت والزيتون إلى أهلها، فنجده صور مستقبل القدس الجميل في أحسن صورة وواقع مليء بالبهجة والسعادة تعم جميع اتجاه القدس الشريف.

أثبت نزار قباني أن قضية فلسطين والقدس قضية العرب ككل تحمل على عاتقه مسؤولية ضياعها وتحريرها، فكرس الكثير من نتاجه الشعري من أجل خدمتها، باعتبار الشعر أكثر الرسائل والطرق التعبيرية للإفصاح عن المشاعر فعبّر عن حسرته وحزنه بعد فرض إسرائيل هيمنتها على أرض الأنوار والمحبة فصور جرح هذا الشعب في عقر دارهم ومدى تمسكهم بأرضهم فدفعوا دمائهم ثمن الحرية، ليصبح شعره بمثابة نور يضيء طريقهم

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 164.

ومنحهم تلك النظرة الإيجابية التي تبعث الطمأنينة في النفوس، وتغدوا بيوم مشرق واستقلال قريب يلوح في الأفق.

3.2.4. فدوى طوقان: تعد من أبرز شاعرات العرب عامة، وفلسطين خاصة

اشتهرت باسم شاعرة الثورة والمقاومة -أهم أنواع الشعر الملتزم-، كما عرفت بحبها الكبير لوطنها فلسطين وتعلقها الشديد به، خاصة بعد النكسة الفلسطينية التي هزت كيانه فجعلت من شعرها أداة للتعبير عن قضيتها ووسيلة لتخفيف من حدة المعاناة، فعبرت عما يجول في خاطرها من محبة وإخلاص لبلدها، وقد تجلى ذلك في معظم قصائدها لعل أشهرها قصيدة "حي أبدا" التي استهلتها بالنداء لوطنها الحبيب فنجدها تقول:

يا وطني الحبيب، مهما تدر

عليك في متاهة الظلم

طاحونة العذاب والألم

لن يستطيعوا يا حبيبنا

أن يتقأوا عينك، لن

ليقتلوا الأحلام والأمل

وليصلبوا حرية البناء والعمل

ليسرقوا الضحكات من أطفالنا¹.

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993،

عبرت الشاعرة عن مشاعرها التي تكنها لوطنها، تلك المشاعر المفعمة بالصدق
والعاطفة، والتأثر بمعاناة هذا الشعب الأبي، وعبرت أيضا عن افتخارها بهويتها الفلسطينية،
تناولت جروح شعبيها من الاحتلال الصهيوني الذي سلب منهم حقوقهم، ثم وجهت فدوى
رسالتها إلى العدو قامت بذكرهم أن هذا الشعب لا يعرف الاستسلام أبدا مهما وفعلتم به
سواءً يبقى أمل من أجل المقاومة والبقاء في الأرض وتحريرها واسترجاع الحقوق الضائعة.

الوطن أغلى ما يملكه كل انسان على سطح الأرض، وحب الوطن أعظم ما يعتز به
الانسان وما يفتخر به في كل زمان ومكان، وهذا آلت إليه شاعرتنا الكبيرة "فدوى طوقان" في
قصيدتها "الفدائي والأرض" صورت فيه الحب الكبير الذي يكنه الشعب الفلسطيني لوطنهم
وأنه ما من قيد عندهم أغلى من حب الوطن، فنقلت إلينا كيف تودع الأم الفلسطينية ابنها
وهو ذاهب للتضحية من أجل وطنه بروح صادقة فنراها فنقول:

ماض أنا أماه

ماض مع الرفاق

موعدي

راض عن المصير

أحمله كصخرة مشدودة بعنقي

فمن هنا منطلقني

وكل ما لدي، كل النبض

والحب والايثار، والعبادة

أبدله لأجلها، للأرض

مهرا، فما أعز منك

يا

أماه إلا الأرض¹.

أثبتت فدوى طوقان أن الوطن دائماً أكبر من الجميع، وفوق الجميع وأجمل مثال عن الوطنية ذلك المناضل الفلسطيني الذي أظهر استعداده للتضحية في سبيل وطنه والدفاع عنه بكل ما يملك من مال ونفس، يبقى هدفه الوحيد رؤية، وطنه ينعم في أمن وسلام مطهراً من دنس العدو الاسرائيلي حتى لو كان ثمن ذلك والدته أعظم النعم على الأرض والأم بدورها مستعدة كل الاستعداد للتضحية بقلدها من أجل الحفاظ على الوطن لتواصل الشاعرة قولها:

يا ولدي

يا كبدي

من أجل هذا اليوم

من أجله ولدتك

من أجله أرضعك

دمي وكل النبض

وكل ما يمكنه أن تمنحه أمرته

يا ولدي، يا عرفة كريمة

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص390.

اقتلعت من أرضها الكريمة

أذهب فما أعز منك يا

بني إلا الأرض¹.

تحدثت "فدوى" على لسان الأم الفلسطينية أثناء توديعها ابنها قبل مغادرته للكفاح والنضال من أجل تحرير الأرض المحتلة، وصورت لنا كيف استطاعت هذه الأم العظيمة بالتضحية بولدها عن قناعة منها أن الوطن أغلى من كل شيء خلقه الله حتى لو كان الأبناء.

عاشت "فدوى طوقان" الصدمة والمأساة رفقة أبناء وطنها سبب الانتهاكات الصهيونية والنكبات المتتالية في حق الشعب الفلسطيني فنقلت لنا هذه الظروف الصعبة التي يعيشونها وصورت هذه الأجواء الحزينة في قصيدتها "مدينتي الحزينة" فراها تقول:

اختفت الأطفال والأغاني

لا ظل، لا صدى

والحزن في مدينتي يدب عاريا

مخصب الخطئ

والصمت في مدينتي

الصمت كالجبال رابض

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 378.

كالليل غامض، الصمت فاجع¹.

سردت لنا "فدوى" في هذه الأبيات عمق الحزن والهدوء الذي حل بوطنها، وهي تشتكي من المرارة، واليأس الذي خلفه الكيان الصهيوني في أعماقهم، ونقلت لنا مختلف المآسي والمهازل التي شاعت في كل شبر من مدينتها معبرة عن معاناتها وحسرتها على حزن وألم وطنها .

تواصل "فدوى" نقل كل ما يقترفه الاحتلال الشرس فصورت حال وواقع القدس في ذكرى عيد المسيح في قصيدتها "إلى السيد المسيح في عيده" فتقول :

يا سيد يا مجد الأقوان

في عيدك تصلب هذا العام

صمتت في عيدك يا سيد كل

الأجراس

من ألفي عام لم تصمت

في عيدك إلا هذا العام

وقباد الأجراس حداد

سواد ملتف بسواد

القدس على درب الأمل².

¹ فدوى الطوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص371.

² المرجع نفسه، ص385.

صورت الشاعرة الهول والحزن الذي أصاب القدس بعد الاحتلال الصهيوني وهي تتادي "المسيح عليه السلام" تشتكي له ما فعله العدو بهذه المدينة البريئة المعروفة بأجوائها الجميلة المرحة المليئة بالبهجة قبل الاحتلال، ليأتي العدو يقلبها رأساً على عقب وسلب منها ضحكاتها وأفراحها المعتادة.

وفي الأخير نستنتج أن الشاعرة الفلسطينية فدوى الطوقان تستحق لقب رائدة الشعر الوطني القومي بامتياز وخير مثال عن شعر المقاومة والثورة، فقد انفعلت في شعرها مع المأساة الفلسطينية ولها دور فعال في سرد ما يحدث في الأرض المحتلة من ظلم وبئس ومهازل بعد الهزيمة معبرة عن مشاعرها وحبها لشعبها وعواطفها الجياشة اتجاه وطنها فسهرت على مساندة القضية الفلسطينية واعتبرتها قضيتها الأولى والأخيرة.

هكذا إذا دافع الشعراء على قضية الأمة العربية بكل ما أوتوا من قوة في الكلام إيماناً منهم بأنها قضية حق ولأن مبادئهم العامة لا تسمح لهم برؤية الباطل فالشاعر الملتزم من مبادئه الدفاع على أي قضية كانت فهذا ما يفرق بين الشاعر الملتزم وغيره.

الفصل الثاني

تجلي الالتزام في

شعر صلاح عبد

الصبور

1. مكانة الالتزام وأهميته في شعر صلاح عبد الصبور:

يعدّ صلاح عبد الصبور أحد أهم شعراء العصر الحديث الذين أسهموا في ربط الشعر بالمجتمع والقضايا الإنسانية والوطنية، حيث جعل الهم الإنساني ضمن اهتماماته وسخر شعره وموهبته لخدمة مصلحة الفرد والمجتمع وإصلاح كل ما هو فاسد من الأوضاع الاجتماعية، ومساندة القضايا العربية وعليه فقد طغى الالتزام في شعره بكل وضوح في أغلب قصائده هدفه إيقاظ الضمير العربي ودفع الناس إلى تغيير الأحوال السيئة التي يعيشون فيها إلى أحوال أفضل منها، والدفاع عن الشعوب التي تعاني من الآلام وخلق مجتمع يسوده العدل والمساواة خال من ظلم الطغاة، لذا نجد أن توظيف الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور مسألة في غاية الأهمية لها مكانة متميزة لا بد من الوقوف عندها وقفة متأنية للكشف عن أهميتها.

ارتبط صلاح عبد الصبور بمشكلات مجتمعه واحتك بمعاناتهم فتناول مأساة الإنسان العربي وصور أحاسيسه وشاركهم أفراحهم وأحزانهم معبرا عن عواطفهم وإحساسه اتجاههم فكانت أول قصيدة في أول ديوان ينشره صلاح عبد الصبور الناس في بلادي هي المعبرة عن ذلك الاحساس عنده¹، في هذه القصيدة أراد الشاعر الكشف عن الواقع المؤلم الذي يعيشه الناس في بلاده وطرح أكبر مشكلة واجهت الإنسان في مجتمعه ألا وهي الفقر ولعل سببه الأول هو التهميش والظلم والفساد في إطار غياب الحقوق والحريات فنجدده يقول:

الناس في بلادي جارحون كالصقور

غناؤهم كرجفة الشتاء في دواية الشجر

¹ محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2000، ص 163.

وضحكهم يئز كالليب في الحطب

خطاهمو تريد أن تسوخ في التراب

ويقتلون، يسرقون، يشربون، يجسأون

لكنهم بشر

وطيبون حيث يملكون قبضيت نقود

ومؤمنون بالقدر¹.

الترم صلاح عبد الصبور في هذه الأبيات بوصف الفقر والحرمان والظلم الذي يعاني منه الناس في بلاده، ونقل أحوال هؤلاء ومعاناتهم بعمق ظهر ذلك في قوله "جارحون كالصقور" وغناؤهم "كرجفة الشتاء" كانت أوصاف جد قاسية تعكس بكل وضوح ما يعانيه هذا الشعب في ظل غياب العدالة الاجتماعية، وفي نظر الشاعر أن عدم قدرة الإنسان على تحقيق الحد الأدنى من متطلباته الأمر الذي يؤدي به إلى الانحراف وخلق الأفات الاجتماعية كالسرقة والقتل وشرب الخمر وغيرها ومن خلال هذه الأبيات، اتضحت أهمية الالتزام في نقد هذا الواقع المؤلم والكشف عن خفياته وبالتالي إيصال رسالته للحكام والمسؤولين للنظر في قضايا هؤلاء المساكين وإيجاد حلول سريعة لهم.

وفي قصيدة "الظل والصليب" رصد صلاح عبد الصبور اغتراب إنسان هذا العصر، وعبر عن يأسه من الحياة والواقع المرير المنهار الذي خلفته الظروف القاسية في هذا الزمن فيقول:

هذا زمن السأم

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص29.

نفخ الأراجيل سأم

دبيب فخذ امرأة ما بين إيتي رجل ...

سأم

لا عمق للألم

لأنه كالزيت فوق صفحة السأم

لا طعم للندم¹.

في هذا المقطع استطاع صلاح عبد الصبور الكشف عن الألم والخيبة التي يعيشها الإنسان العربي في هذا الزمن، لأن الشاعر عاش في قلب الأحداث تحت ضغوط أزمات متعددة لذلك عايش الواقع المأساوي السائد في المجتمع وصف لنا شعور الإنسان بالإحباط واليأس من الظروف القاسية في جميع مجالات الحياة وعلى كافة الأصعدة، وعبر عن احساسه بالسأم من عيشه في مجتمع فاسد ومخيف ملئ بالظلم والطغيان من حياة زائفة لا معنى لها، أصبح فيها الإنسان دون أي قيمة لم يعد يعرف هدفه من الحياة التي يعيشها، وفقد الأمل في تحقيق ما يريد مما جعله يفقد شهية الحياة.

وصف صلاح عبد الصبور الإنسان الذي عاش في هذه الفترة بسيد الحياة لأنه لم يملك القدرة لتحقيق ذاته في المجتمع وظل يعيش غريباً في مجتمعه وحيداً منعزلاً عن الحياة فنجدته يقول:

إنسان هذا العصر سيد الحياة

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، منشورات الكتاب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، دب، ط1،

1961، ص 81 .

لأنه يعيشها سأم ...

يزني بها سأم ...

بموتها سأم ...¹.

من خلال هذا المقطع عبر صلاح عبد الصبور عن تعاسة وشقاء الإنسان في زمن اليأس من الأوضاع، التي جعلته دائماً مصاب بالإحباط والضياع والسبب الأول لفشله في تحقيق أحلامه وطموحاته، مما قلل من احساسه بقيمة ذاته ووجوده الأمر الذي يدفعه دائماً لقبول الهزيمة والاستسلام لا يكلف نفسه بالكفاح من أجل تحقيق أهدافه التي لم تعد تعني له شيء لدرجة أنه أصبح الموت بالنسبة له أهون من هذه الحياة التعيسة، التي حرمته من أدنى حقوقه في زمن ضاعت فيه الحقوق وضاعت الحقيقة وتداخلت الأشياء في بعضها البعض ومنه يقول شاعرنا:

هذا زمن الحق الضائع

لا يعرف فيه مقتول من قاتله، ومتى قتله

ورؤوس الناس على جثث الحيوانات

ورؤوس الحيوانات على جثث الناس

فتحسس رأسك !².

صور صلاح عبد الصبور في هذا المقطع المحنة الاجتماعية والإنسانية السائدة في المجتمع العربي الذي سيطر عليه الظلم والاضطراب والسأم من كل شيء، بسبب غياب

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص84-85.

² المصدر نفسه، ص90.

العدالة الاجتماعية في زمن يحكم فيه القوي على الضعيف، ضاع فيه الحق والحقيقة حيث امتزجت الأمور وتداخلت ببعضها لا يمكن التمييز بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين الصواب والخطأ ومن ثمة اختلطت قوى الخير والشر في الإنسان، لتصبح الحياة بالنسبة له ليست إلا شقاء قهر وحرمان فقد فيها الإنسان إنسانيته ورغبته في الحياة.

في هذه القصيدة تجلت أهمية ومكانة الالتزام في تسليط الضوء على مشكلات المجتمع العربي والمعاناة الكبرى التي سيطرت على الإنسان في هذا العصر، حيث كان النظام الفاسد هو المسؤول الأول عن هذه الأوضاع كانت رغبة صلاح عبد الصبور إخراج الإنسان عن هذا السأم والقلق الذي سيطر على ذاته فقام بدعوته أن يدرك قيمة وجوده ويعي ذاته ويسعى دائما إلى إثبات مكانته في المجتمع وتجنب الشعور باليأس مهما اشتدت قسوة الحياة يجب تحدي جميع الصعوبات والصمود في وجه العوائق الصعبة.

كان صلاح عبد الصبور من الشعراء المعاصرون الذين أولوا اهتماما كبيرا بالقضايا الإنسانية، وأصبح الالتزام بمشكلات الإنسان محور قصائده وأشعاره وأصبحت جل القضايا الإنسانية من أكبر المواضيع التي يستقي صلاح عبد الصبور موضوعاته " ولذلك فإن أعظم الفضائل عندي هي الصدق والحرية والعدالة، وأخبت الرذائل هي الكذب والطغيان، والظلم، ذلك لأنني أعتقد أن هذه الفضائل هي التي تستطيع تشكيل العالم وتنقيته، وإن غيابها معناه ببساطة: انهيار العالم"¹، ومن هنا تبين أن الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور مكانة عظيمة وأهمية بالغة، في الدعوة إلى التمسك بالقيم الإنسانية والمبادئ السامية التي تدعوا بدورها إلى نشر المحبة والألفة بين أبناء المجتمع وتحقيق العدل والحرية والمساواة ونبذ الشر والحقد والظلم من أجل الراحة في الحياة والاطمئنان في الحياة وخلق مجتمع متماسك يسوده الأمن والاستقرار.

¹ صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، درا العودة، بيروت، ط2، 1977، ص161.162.

والى جانب أهمية الالتزام في تمجيد الإنسان وإصلاح المجتمع اهتم صلاح عبد الصبور اهتماما كبيرا بالقضية العربية حيث ساهم شعره بتعزيز الثورات العربية وإثبات معنى المقاومة في الإنسان العربي وعبر عن مختلف مواقف الإنسان العربي وواقعه المرير إثر النكبات والهزائم المتتالية " وهو ما يحاول صلاح عبد الصبور تصويره عن حالة النكبة والحطام أو الخراب الذي عم المدينة بعد الحرب في قصيدة "هجم التتار" وهي تصوير ما حدث للبلاد العربية بعد غزو التتار لها، ليعكس ما حدث للبلاد العربية بعد النكبة "1، وعليه فإن هذه القصيدة من أهم القصائد المعبرة عن تلك الأوضاع فنراه يقول:

وراموا مدينتنا العريقة بالدمار

رجعت كتائبنا ممزقة، وقد حمى النهار

الراية السوداء، والجرحى، وقافلة موات

والطبله الجوفاء، والخطو الدليل بلا التفاف

وأكف جندي تدق على الخشب².

صور صلاح عبد الصبور في هذا المقطع معاناة البلاد العربية بسبب همجية الاستعمار الأجنبي في مختلف أقطار الوطن العربي، وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين وما خلفته هذه الأحداث من جرائم بشعة ارتكبت في حق الشعب العربي بلا رحمة ولا شفقة، شبه الشاعر هذه الأحداث القاهرة بجائحة التتار في بلاد المسلمين في عهد الخلافة العباسية وما خلفوه من دمار وخراب في كل مكان مرّوا عليه ومارسوا التعذيب والقتل الهمجي فلم يكتف

¹ معاشو بووشمة، الأسطورة في شعر صلاح عبد الصبور، إشراف، بن حليبي عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011/2012، ص 63، 62، (133).

² صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 14.

النتار بقتل الرجال فقط إنما قتلوا النساء والأطفال والصغار والشيوخ بطريقة وحشية وهذا ما فعله الاستعمار الأجنبي والاحتلال الإسرائيلي في البلاد العربية فنجد صلاح عبد الصبور قد نقل لنا تلك الأحداث في قوله:

وهناك مركبة محطة تدور على الطريق

والخيل ينظر في انكسار

الأنف يعمل في انكسار

العين تدمع في انكسار

والأذن يلسعها الغبار

والجند أيديهم مدلاة إلى قرب القدم

قمصانهم محنية مصبوغة بنثار دم

والأمهات هربن خلف الربوة الدكناء من هول الحريق¹.

صور الشاعر في هذا المقطع حجم المأساة والمعاناة الذي تعرض له الشعب العربي، ورسم مشهد الانكسار والحزن والدموع الذي سيطر على هذه المدينة وخوف الناس من شدة هول الأحداث، ورسم أيضا حجم الدمار والخراب الذي حل في كل مكان الذي خلف وراءه دماء وجروح كثيرة.

واكب صلاح عبد الصبور الثورات العربية ضد الاستعمار الأجنبي وتأثر بها تأثرا كبيرا باعتبار الشاعر إنسان يعيش واقع أمته وأفاقها، لذا نجده قد تغنى بالأسرى والضحايا وأبطال الثورات العربية الذين ضحوا بدمائهم من أجل الاستقلال والحرية فنجده يقول:

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص15.

في معزل الأسرى البعيد

الليل، والأسلاك والحرص المدجج بالحديد

والظلمة البلاء والجرحى ورائحة الصديد

ومزاح مخمورين من جند التتار

يتلمضون الانتصار

ونهاية السفر السعيد¹.

في هذا المقطع وصف صلاح عبد الصبور حال الأسرى ومعاناتهم داخل سجون العدو، وتغنى ببطولاتهم وشجاعتهم ضد القوة الاستعمارية، والوقوف في وجه أساليبهم الوحشية وبشاعة جرائمهم رغم إمكانياتهم البسيطة لكن أملهم قوي وعزيمتهم قوية في تحقيق النصر عليهم.

لقد أحدثت هذه الأحداث هزة عنيفة وجرح عميق في نفس الشاعر الأمر الذي جعله يعود إلى الماضي هروبا من الواقع المؤلم واستخدم التتار كقناع يختبئ وراءه ليعبر عن آرائه وأفكاره ونقل واقع الأمة العربية، ومن هنا تتجلى أهمية الالتزام في غرس روح الثورة والمقاومة في النفوس من أجل استرجاع الحرية والعزة والكرامة.

ولا تخفى علينا أهمية الالتزام ومكانته البالغة في تمجيد منزلة شهداء الوطن ووصف بطولاتهم وشجاعتهم وهذا ما تجلى في قصيدة " شفق زهران " حيث يقول:

كان زهران غلاما

أمه سمراء، والأب مولد

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 16.15.

وبعينه وسامة

وعلى الصدع حمامة

وعلى الزند أبو زيد سلامة

ممسكا سيفاً وتحت الوشم نبتت كالكتابة

اسم قرية

"دنشواي"

شب زهران قويا

ونقيا¹.

في هذا المقطع مدح الشاعر شخصية زهران البطلة الشاب الشجاع المغدور به الذي استشهد في سبيل كرامته دفاعاً عن أرضه وأبناء شعبه وقدم دمه فداءً لوطنه، حيث تتصف شخصية زهران بالبرقة والطيبة والقوة والشجاعة، وعرف بحبه الكبير لوطنه عامة ولقريته خاصة، وتبين ذلك حيث أشار الشاعر إلى الوشم الذي كتبه زهران باسم قرية "دنشوان" وهو دليل على مدى تعلقه بقريته وفي مقطع آخر من القصيدة صور الشاعر حادثة مقتله وصور حال قريته بعد استشهاده فيقول:

وأتى السياق مسرور وأعداء الحياة

صنعوا الموت لأحباب الحياة

وتدلى رأس زهران الوديع

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 19.18.

قريتي من يومها لم تأتدّم إلا الدموع

قريتي من يومها تأوي الركن الصديق

قريتي من يومها تخشى الحياة

كان زهران صديقا للحياة¹.

في هذه الأبيات بدى الشاعر متأثرا بمقتل البطل زهران على أيادي الاحتلال ذلك الشاب الشاب الشهم الذي حمل في قلبه حب الوطن والحرية والحياة، وصور الشاعر مدى تعلقه بالحياة وحبها لها، ورسم حالة الحزن التي خيمت على أهل القرية منذ استشهاده لأنه كان شخصية محبوبة عندهم.

وفي قصيدة "نام في سلام" " لذكرى قريبي وصديقي الخيار محمد نبيل الباجوري، الشهيد على رمال غزة في سبتمبر 1955²، صور صلاح عبد الصبور تشييع جنازة صديقه الشهيد فيقول:

أما "أخي محمد نبيل"

فقد طوى جنازه شروع المدينة

في ظهر يوم قائط، والناس مطرقون

أحبابه، أحبابنا، أهل حينا القديم

وأعولت حبيبة في شرفة مهدومة

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 22.21.

² المصدر نفسه، ص 73.

ودق طبل معول، وسار جند واجهون¹.

صور الشاعر مشهد تشييع جنازة أخيه الشهيد محمد نبيل الذي استشهد أثناء أدائه واجبه الوطني، حيث حضر مراسم الجنازة أبناء قريته وأهله وأحابه وأصدقائه، لتوديع الشهيد وزفه إلى مثواه الأخير بطريقة تليق به بالزغاريد والدموع والطبول.

كان صلاح عبد الصبور شاعرا متميزا في عصره لأنه كان مرهف الحس في عاطفته وحبه الكبير لوطنه، لذا سخر شعره وقلمه للدفاع عن مصر ومناصرة أبنائها، وفي قصيدة "سأقتلك" التي كتبها " في أكتوبر 1956"²، أي أثناء العدوان الثلاثي على مصر من طرف إسرائيل وفرنسا وبريطانيا حاول من خلالها مهاجمة العدو والدعوة إلى مقاومته والتخلص منه فنجدده يقول:

سأقتلك

من قبل أن تقتلني سأقتلك

من قبل أن تغوص في دمي

أغوص في دمك

وليس بيننا سوى السلاح

وليكن السلاح بيننا³.

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص75.

² المصدر نفسه، ص92.

³ المصدر نفسه، ص ن.

تعالَت صرخة الشاعر في التصدي للمحتل حيث كانت نبرة التحدي والثقة جد واضحة في قوله "سأقتلك قبل أن تغوص في دمي" فهو هنا يعلن عن ثورته بصورة صارخة ضد البطش والظلم دون أي خوف ولا قيد معبرا عن استعداده لمواجهة صارمة ضد المحتل ومحاربه لأنه يدرك أنه لا يفهم إلا لغة القوة والسلاح.

كما عبر صلاح عبد الصبور عن مدى اعتزازه بالوطن الغالي وتراثه المجيد وعن افتخاره بما صنعه الأجداد وبانتسابه إلى الإسلام فيقول:

ثنابك الجدود وقعها المهيب ما يزال

يموج في ذاكرة الأيام

ونورهم يختال فوق مفرق التاريخ

فمنهم الذي بنى حجارة الأهرام

لكي يمجّد الإنسان حين يشمخ الإنسان

ومنهم من بنى منارة الإسلام

لكي يقول للأنام: لا إله إلا الله¹.

في هذه الأبيات اعترى الشاعر لمكانة وطنه وافتخر بأمجادها العريقة من بناء الأهرام ومنارة الإسلام وأصالة حضارة مصر ومنه تجلت أهمية الالتزام في يقظة الوعي القومي وذلك بالتنكير بالأمجاد القديمة من أجل النهوض بالوطن.

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 93.92.

واعتر كذلك صلاح عبد الصبور بحاضر وطنه حيث وصف أبناء بلده بصناع السلام وعبر عن إرادة شعبه في تحقيق الكرامة والحرية وطموحه في الحفاظ على السلام والأمان المستدام فيقول:

ونحن في حاضرنا المجيد نصنع السلام

هدية من شعبنا للعالم الجديد

العالم الذي يريد

يريد للرجال أن يعانقوا الرجال دون حقد

العالم الذي يريد

يريد النساء أن يغفين وادعات

في أذرع الأزواج والأحباب والأبناء¹.

عبر الشاعر عن ثقته وإيمانه في قدرات شعبه على تحقيق التغيير والإصلاح من أجل بناء عالم ينعم بالسلام خال من المشاكل مليء بالتسامح والتكافل وعبر عن تفاؤله في العيش في هذا العالم الجديد لدرجة أنه يقسم بالأهرام والإسلام صناع السلام والشهداء أن يقتل العدو في وطنه فيقول:

أقسمت بالأهرام والإسلام والسلام

سأقتلك

بكل ما سقيت من مرارة الأيام

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 93.

أغوص في دمك

أقسمت بالأخ الذي مضى، وخلته بلا ثمن

في عامنا الماضي، أو لم يلق حول جسمه كفن

لأنه احترق¹.

أقسم الشاعر بكل ما هو غال أنه سيقضي على المحتل ويقتله عبارات تعبر عن رفضه الذل والظلم لأبناء بلده، لذلك فجر غضبه وسخطه في وجه العدوان والاحتلال حيث كان له تأثير بالغ في التحريض ضد الطغيان والاحتلال، غرضه خدمة وطنه وشعبه بإخلاص، ومنه لا تخفى علينا أهمية الالتزام في الدفاع عن القضايا الوطنية ودوره الفعال في التحريض على الثورة والنضال.

وقد تجلت أهمية الالتزام في مشاركة الشاعر أبناء وطنه فرحة الانتصار ففي قصيدته "مرتفع أبدا" التي ألقاها بمناسبة "رفع العلم المصري على مبنى الحرية ببور سعيد يونيه سنة 1956"²، عبر فيها صلاح عبد الصبور بفرحته بالانتصار على العدو وعن حبه الكبير اتجاه وطنه ومدى اعتزازه بالعلم الوطني حيث يقول في مطلع القصيدة:

لترتفع، لترتفع، يا أيها المجيد

يا أجمل الأشياء في عيني، أنت يا خفاق

يا أيها العظيم يا محبوب، يا رفيع يا مهيب

يا كل شيء كان في الحياة أو يكون

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص94.

² المصدر نفسه، ص88.

يا علمي يا علم الحرية¹،

في هذا المقطع تغزل صلاح عبد الصبور بعظمة ومجد العلم المصري وهو يشارك وطنه فرحة الانتصار، حيث وصفه أنه أكثر الأشياء الجميلة، وأنه رمز عزة وإجلال للوطن ورمز الوحدة الوطنية مؤكداً أن العلم الوطني وجد ليرتفع شامخاً فوق القمم باعتبار رفعة هو الرمز الحقيقي للحرية ووفاء للوطن وإعلاء لشأنه.

بناء على ما سبق يمكننا القول أن الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور مكانة رفيعة وأهمية كبيرة في نقل الوقائع التي تمر بها الأمة بحذافرها وذلك قصد إصلاح الأوضاع الاجتماعية نظراً لما يبثه من وعي اجتماعي في النفوس ودوره الريادي في البحث عن حلول لمشاكل الإنسان وذلك بالتعبير عن طموحاته الكبرى وآماله العريضة، وتتجلى أهميته الكبرى في مساندة القضايا الوطنية والتحضير إلى الثورة من أجل تحقيق الانتصار واسترجاع الحقوق المسلوقة، وعليه فإن هذه الوقائع مصدر إلهام الشاعر وهي التي فتحت له مجال الإبداع وصنع الأفكار لتصبح العلاقة بين الشاعر وأمته علاقة وطيدة متكاملة فالشاعر لسان مجتمعه يعبر عن آمالها وألمها وهي بدورها منبع إبداعه.

2. دوافع الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور:

يعتبر صلاح عبد الصبور من الشعراء الذين أحدثوا نقلة في الشعر العربي وهذا من خلال المواضيع التي يتطرق إليها في شعره، أو من خلال بنائه لقصيدته، فهو يعتبر من الشعراء العرب المحدثين ومن أهم الشعراء العرب الحديث والمعاصر " فهو رائد الشعر الحر، ورمز من رموز الحداثة العربية المتأثرة بالفكر الغربي"²، ومن خلال هذا التأثير بهذه

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 88.

² سمية عبد المنعم، صلاح عبد الصبور.. عبقرى أثرى الشعر العربي وتأثر بالغربي، الوفد، 2014،

الكتابة الجديدة في الشعر كان لابد لشاعر مثل صلاح عبد الصبور أن يكون متأثراً بنظريات الفكر الغربي كالالتزام، والمتصفح لقصائد صلاح عبد الصبور يلتبس هذا التأثير البليغ لصلاح عبد الصبور بكل هذه النظريات المختلفة والتي كانت سبباً في التزامه، ولم يكن التأثير بالغرب السبب الوحيد في التزام صلاح عبد الصبور، بل نكبات العرب المختلفة بصفة عامة ونكبة فلسطين بصفة خاصة من أهم الأسباب التي أدت به إلى الالتزام وخاصة أن نكبة فلسطين تركت أثراً كبيراً في نفوس شعرائنا العرب.

ولقد حمل صلاح عبد الصبور لواء الإنسانية ومشاكل الإنسان المعاصر، والتي تعتبر عالمية ولا تخص منطقة دون الأخرى، فالأزمات تتشابه بين الدول رغم البعد وخاصة أن الإنسان المعاصر يكاد أن يفقد إنسانيته في ظل هذا التطور المذهل الذي يشهده العالم لهذا يحاول الشعراء استخراج إنسانية الإنسان.

وعلى هذا سنستعرض أهم دوافع التزام شاعر العصر ورائدهم صلاح عبد الصبور، ومن أسبابها إحتكاكه وتأثره بالغرب، وهذا ما ينتج من خلال الشعر الحر الذي يميزه وأيضاً نكبة فلسطين وكل التأثيرات النفسية التي أحدثتها في نفسية صلاح عبد الصبور، وأيضاً اهتمامه بمشاكل الإنسانية جمعاء دون منطقة على أخرى.

1.2 صلاح عبد الصبور والاحتكاك بالغرب:

يعتبر صلاح عبد الصبور من الشعراء الذين تأثروا كثيراً بمنجزات الغرب الفكرية، وهذا ما يتضح وضوح الشمس من خلال أشعاره وهذا بداية من استغناؤه عن النظام القديم للقصيدة العربية، ومن هذا الارتباط أو التأثير الشديد بالغرب كان من الطبيعي أن يتخذ الشاعر الالتزام عنواناً في قصائده ومبدأً من مبادئ حياته والتي تتجلى في كتاباته، وخاصة أن الشاعر معروف عليه تأثره الشديد بالإنسانية ومشاكل العصر برمتها.

أما الاحتكاك بالغرب فهو ناتج عن تلك القراءات المتعددة لأدباء عالميين وهذا ما أنتج هذا التأثير الشديد بمجموعة من الشعراء الغربيين، وعلى هذا كانت كتاباته تميل بشكل كبير إلى هؤلاء الشعراء، من حيث الخصائص أو التقنيات المتبعة " فاستفاد الشاعر من منجزات الشعر الرمزي الفرنسي، الألماني عند بود لير وريكله، والشعر الفلسفي الإنجليزي عند دون ويتيس وليتس إيوت بصفة خاصة"¹، ومن هذا التأثير الكبير بهؤلاء الشعراء نفهم ذلك الحزن العميق الذي تتصف بها قصائد صلاح عبد الصبور والتي تكاد لا تخلوا من صبغة الحزن وخاصة أنه من المدرسة الرومانسية التي تنهرب إلى الطبيعة من أجل منجاة أحرانها.

وبعيدا عن هذا يصرح صلاح عبد الصبور قائلا: " وكل فنان لا يعرف آباءه الفنانين إلى تاسع جد لا يستطيع أن يكون جزءا من التراث الإنساني، وهو في الوقت ذاته لا يستطيع أن يحقق دوره كإنسان مسؤول في هذا الكون"²، وبهذا يحث صلاح عبد الصبور كل الفنانين على معرفة سابقهم، وهذا بالاستفادة من الموروثات السابقة والتي تمكن الفنان من صنع أسلوب خاص به ولا يقع في التقليد، وأيضا لا يقع في الإسقاط الخاطئ، وهذا ما يظهر في قضية الالتزام.

الالتزام إذن ظاهرة كانت منذ قدم الزمن وليس في العصر الحديث فقط وما يميز الالتزام في العصر الحديث أنه منظر وله قواعده الخاصة " وليست النظرة إلى الفن كنابح من نوابح الأنظمة الاجتماعية أو الدينية، نظرة جديدة، ففي ظل تتبعنا التاريخ نستطيع أن نقول أن كلمة الفن الهادف لم تولد مع المركسية، وأن كلمة الالتزام لم تولد مع سارتر، وأن

¹ سمير عبد الله، كيف تأثر صلاح عبد الصبور بالكتاب العالميين؟، الدستور، 2019،

<https://www.dostor.com>

² صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، ص 145.

التاريخ معرض شامل للصراع بين الفن والأبنية الاجتماعية، الدينية¹، وهذا ما نستنتجه في تلك الرقابة التي مارسها أفلاطون على الشعراء وتفضيله الشعر الذي يخدم المجتمع والمصالح الاجتماعية.

كما نجد ظاهرة الالتزام موجودة أيضا في الكنيسة فاستخدمت الكنيسة الشعر لتحقيق أهدافها، وهذا ما يتضح أيضا في تراثنا العربي الذي تعددت فيه ملامح الالتزام بوعي أو بغير وعي من الولاء للقبيلة أو من تلك المبادئ العامة التي يحملها الشعراء في طياتهم، ومن هذا استسقى صلاح عبد الصبور رغبته في الالتزام " دعوى الالتزام أو الهدف إذن دعوى قديمة عمرها عمر الإنسان وإذا كان القرن التاسع عشر والعشرين، قد وجدوا مفكرين مثل ماركس وسارتر لكي يحملا هذه الدعوى فإن كل القرون السابقة قد وجدت دعواتها، اللذين لا يقل بعضهم عظمة أو محبة للإنسانية عن هذين الفيلسوفين²، وبهذا التتبع العميق في التراث العالمي والغربي اكتسب صلاح عبد الصبور تلك الشخصية الفنية والتي دفعته إلى الالتزام، وخاصة أن هذا العصر يشهد أحداث متسارعة، والتي تجعل الفنان يلتزم ويتخذ الالتزام عنوان من عناوين قصائده.

وبما أن صلاح عبد الصبور جد متتبع للتراث الغربي ومنجزاته كان من الضروري أن يتأثر بالفيلسوفين اللذين أعطوا للالتزام شكله الحقيقي وهذا من خلال التنظير له ووضع له قواعده الخاصة، رغم أن المذاهب تختلف ولكل مذهب ونظرته للالتزام، إلا أنه كان هذين المذهبين من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى التزام الشعراء العرب برمتهم.

ومن هنا يكون الدافع الأول للالتزام شاعرنا صلاح عبد الصبور هذا التأثير الشديد بالغرب وخاصة أن الظروف التي كان يعيشها الوطن العربي تسمح لهذه الظاهرة بالتواجد،

¹ صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، ص 110.

² المصدر نفسه، ص 112.

ولهذا عرفت ظاهرة الالتزام إقبالا شديدا من شعرائنا العرب " أضف إلى ذلك انتشار فكرة نوتها من الأدب الماركسي وجدت لدينا هنا في مجتمعنا العربي في فترة الخمسينات والستينات روجا شديدا، فنودي بكلمة الالتزام والأدب الهادف"¹، ومن هذا الانتشار الواضح لظاهرة الالتزام، ونظرا لكل الظروف المحيطة كان لابد من ظهور قصائد تظهر فيها هذا التأثير البليغ بالالتزام وخاصة أن صلاح عبد الصبور تأثر تأثرا واضحا بالواقعية خاصة في بداياته، وهذا ما يظهر في قصيدته أبي حيث يقول فيها:

... وأتى نعي أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوع الجبين

حوله الذوبان تعوي والرياح

ورفاق قبلوة خاشعين

وبأقدام تجر الأحذية

وتدق الأرض وقع منقر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعي أبي ..²

ظهرت في هذه القصيدة التأثير الواضح بالواقعية، وهو يصف لنا هذا الحدث المحزن والمؤثر وهو فقدان الوالد بذلك الموت المفاجئ الذي لم يكن ينتظرونه وخاصة أنه كان بعيدا عليهم، وهذا من أجل كسب قوة يومه ليعيل عائلته، ومن هذا المقطع أيضا تظهر لنا تلك

¹ محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث، ص162.163.

² صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص23.

الصورة للعامل البسيط الذي تتوفاه المنية في عمله والذي يصور لنا أيضا معاناة العمال، وفقدان الأب أيضا يعتبر صدمة كبير للعائلة، خاصة في مجتمعاتنا العربية التي تحتقر المرأة ولا يترك لها المجال في العمل، وهذا ما يزيد المعاناة أكثر من صعوبة تربية الأولاد ومن صعوبة تلبية حاجاتهم من دون رب أسرة يعينها وتتكئ عليه.

وشكت أمي من علتها

ذات فجر، فتذكرت أبي

عقر الكلب أخي ...

وهو في الحقل يقود الماشية

فبكينا

حين نادى ...

يا أبي !

إننا الأعراب في الفقر الكبير

إننا ضقتنا وضقت روحنا¹.

ومن هنا تتضح لنا معاناة الأسرة التي تفقد سندها القوي وهو الأب، وخاصة في مجتمعات لا ترحم والقوي فيها يقضي على ضعيفها، ومثل هذا الحدث البسيط من عضة الكلب تذكرت العائلة وخاصة الأم كل معاناتها ومعاناة أطفالها، وبمجرد صرخة واحدة "يا أبي" أتت كل الصور الجميلة للأب ومعنى وجوده في الحياة.

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 27.

ومن هذه القصيدة لصلاح عبد الصبور تتضح لنا معالم الواقعية في شعره والالتزامه بمبدأ الواقعية خاصة في بداياته، وهذا من خلال هذه الصور المؤلمة والمفزعة في مجتمعاتنا والتي تبرز دور الأب وأن فقدان الأب فقدان مؤلم جدا خاصة أن المجتمع لا يرحم والأب يعتبر المدافع الحقيقي للأسرة وسندها القوي خاصة للمرأة، فالمرأة التي بدون رجل تكون لقمة سهلة للوحش الإنساني الذي لا رأفت له، وهذه القصيدة لصلاح عبد الصبور لا تحاكي وجع فقدان الأب فقط بل تحاكي على كل ما يترتب من هذا الفقدان.

وبهذا تكون المذاهب الغربية من أهم العوامل التي أدت بصلاح عبد الصبور للالتزام، والتي جعلت منه شاعرا ملتزما بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فالشاعر الحزين لا يتفانى من سخر قلمه وفكره من أجل الآخر.

2.2. صلاح عبد الصبور ونكبة فلسطين:

شكلت نكبة فلسطين المنحى العريض في تاريخ الأدب العربي حيث استفاق الشعراء أمام واقع آخر مرير ألا وهو أن أراضي الأجداد سلبت ومنحت للعدو المشترك، ألا وهو إسرائيل، والتي سعت بدورها إلى تجريده من كل حقوقه، ولهذا ثار الشعراء حول هذه القضية والتي عدت قضية أمة وليست قضية فلسطين وحدها، ولا تكاد أشعار العرب تخلوا من قصيدة أو قصيدتين حول هذه القضية.

يعتبر صلاح عبد الصبور من اللذين تأثروا بنكبة فلسطين الأولى والثانية، وخاصة أنه تتبأ بنكبة 1967م في أحد أعماله الشعرية، ولكن التأثير الكبير لصلاح عبد الصبور كان في نكبة 1948م، حيث تعد أول ردة فعل له إثر هذه النكبة هو تحويل شعره من الشعر القديم إلى الشعر الحر والذي يعد رائدا فيه، فهو تخلى عن النمط القديم ولبس لباس التجديد بغية الوصول منه إلى أكبر عدد من الجماهير ويسمع صوته من كل الجهات.

يعتبر صلاح عبد الصبور أحد الشعراء الثوريين خاصة في نكبة 1948م " وقد بيدوا للبعض أن من السهل تحديد مسار دقيق لتطور شعراء هذه الحقبة، من المتكلمين انهماكا حقيقيا في التجربة الثورية، لعصرهم حيث ترتبط كل قصيدة من قصائدهم بلحظة معاناة من نوع خاص"¹، ونظرا لهذه الظروف الجديدة في العالم العربي كان لبّد لشاعر مثل صلاح عبد الصبور الذي يتميز بالنزعة الإنسانية أن يسخر قلمه لمساندة الأشقاء.

هكذا كانت أشعار صلاح عبد الصبور مليئة بتصوير الظلم الذي يتعرض عليه الفلسطيني في كل يوم " وفي تلك الحقبة كتب صلاح عبد الصبور قصائده، "دعوة ذي الوجه الكئيب" "وإلى جندي غاضب" "والشهيد"²، وبهذه القصائد يتجلى ويظهر روح الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور وتكون هذه الحادثة من الأسباب التي جعلت صلاح عبد الصبور يكون ملتزما وثائرا في نفس الوقت وخاصة أن القضية الفلسطينية قضية أمة " ومع ذلك نجد صلاح عبد الصبور وكيلائي سند يصلان إلى نموذج التأثير"³، وهذا العزم على الثورة كان بسبب ما يحدث في الأرض الفلسطينية وما يتعرض له الفلسطيني، وخاصة أن مصر تعتبر منبعاً لثورات العربية ومحتضنة لها مثل ما احتضنت الثورة الجزائرية وهذا ما ساعد صلاح عبد الصبور كثيرا.

هكذا إذا كانت نكبة فلسطين من أهم الأسباب والدوافع التي أدت بصلاح عبد الصبور إلى أخذ الالتزام كمبدأ له ويستخدم قلمه من أجل الدفاع عن فلسطين وشعبها وتوصيل كل رسالة أرادها الفلسطيني توصيلها وهذا من خلال قصائده، خاصة وأن صلاح عبد الصبور يعتبر ملهم لشعراء الفلسطينيين الثائرين للخوض في غمار الشعر الحر الذي كان يميز قصائدهم ويدافعون أيضا عن قضيتهم ووطنهم.

¹ عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية، ص 401.

² المرجع نفسه، ص 403.

³ المرجع نفسه، ص ن.

3.2. صلاح عبد الصبور والقضايا الإنسانية:

نظرا لشخصية صلاح عبد الصبور كان من الطبيعي أن تكون له آراء ونظرة حول ما يحدث في هذا العالم، وعلى هذا لم تكن آرائه حول القضايا العالمية غريبة، نظرا لكل التوجهات التي يحملها الثائر صلاح عبد الصبور، فهو لم يكتفي بقضايا بلده ومجتمعه فقط على عكس بعض الشعراء، لكن هو دافع عن الإنسان بحد ذاته ومهما يكون، فدافعه الأسمى هي مشاكل الإنسان بصفة عامة " إن هناك ثلاث طرق من الاجتهاد تحاول أن تمد بصرها في إنسانية الإنسان لتساعده على تجاوز ذاته، كي يستطيع بعد ذلك أن يعطي لحياته معنى هي الدين والفلسفة والفن"¹، هكذا إذا هو صلاح عبد الصبور الشاعر والتي كانت الإنسانية دافعا من دافع التزامه، وخاصة ما يمر به هذا العصر من تجديد وصناعة وحروب وأزمات مختلفة تجعل من الإنسان غريب ولا يشعر بالاطمئنان اتجاه هذا العالم.

وبهذه الظروف المتسارعة جعلت من الإنسان كآلة وجرده من الأحاسيس والعواطف " ولقد نشأت الصناعة، فتركزت في أيدي المغامرين والرأسمالين، وعرفت السفينة التجارية فانتقلت في الاستعمار حتى التكنولوجيا تستغل في التعذيب"²، وهذا هو رأي صلاح عبد الصبور حول هذه التطورات المختلفة التي طرأت على الإنسان، والتي رآها أنها زادت في تعاسة الإنسان وظلم، فهذه التكنولوجيا التي كانت من المفروض أن تكون خادما له ها هي الآن تساهم في التعذيب وفي زيادة آلامه وهذا ما يتضح في قول صلاح عبد الصبور " إن العالم مازال مليئا بالمرض والشر والفقر والآلام، والبشرية مازالت مريضة بالقسوة والاسفاف والتفاهة، ففي زمن سحيق كان المخالفون في الرأي يلقون في حظائر

¹ صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، ص136.

² المصدر نفسه، ص125.

الأسود"¹، وهذه الظروف كان ضدها الشاعر صلاح عبد الصبور فهو مناهض ومعاد لكل تعسف مهما كان نوعها ويناشد بالحرية من كل أبويها.

وهو إذن يدافع عن كل مظلوم مهما كان، وهذا ما يظهر لنا عندما تصفح جريدة التايمز الإنجليزية، عندما رأى ما يعانيه الإنسان في كل أنحاء العالم فلم يخفي توتره وقلقه جراء هذا " أهل الرأي يعانون من وطأة السجون في بلاد مختلفة، ففي أندونيسيا يعتقل الشيوعيون، وفي شرق أوروبا يعتقل الليبراليون، وفي أمريكا يعتقل السود وفي العشرين دولة عشرون سببا مختلفا"²، وعلى هذه الوقائع المختلفة كان من الطبيعي أن يتخذ صلاح عبد الصبور من الالتزام مبدأ وتكون هذه الظروف من أهم دوافعه في الالتزام ففي " شهوة إصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والنبي والشاعر، لأن كل منهم يرى النقص فلا يحاول أن يخدع عنه نفسه بل يجتهد في أن يرى وسيلة لإصلاحه "³، فتقديم شيء للإنسانية أهم شيء يورق شاعر مثل صلاح عبد الصبور، فلا يستطيع أن يرى كل هذا الانحطاط في الإنسانية ويكف فمه وقلمه.

لهذا كانت أشعاره مليئة بأحزان وأصوات الإنسان بصفة عامة باختلاف معاناته اليومية وباختلاف مناطق العيش فالعالم كله يعاني رغم أن المعاناة تختلف في بعض الأحيان.

وفي قصيدة "مرثية رجل تافه" لصلاح عبد الصبور يظهر لنا ذلك المعنى الحقيقي للإنسان بالنسبة لصلاح عبد الصبور، حيث خص قصائده للإنسان بصفة عامة ولم يقتصر من فئة دون الأخرى، حيث صور لنا ذلك الإنسان الوحيد الذي عاش وحيدا ومات وحيدا،

¹ صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، ص123.

² المصدر نفسه، ص ن.

³ المصدر نفسه، ص135.136.

والذي يمكنه أن يكون أي إنسان في هذه الحياة نظرا للأزمة الإنسانية التي أصابت العالم اليوم، ولهذا استهل قصيدته بقوله:

مضت حياته .. كما مضت

ذليلة موطأة

كأنها تراب مقبره

وكان موته الغريب باهتا مباغتاً

منتظراً، مفاجأه

(الميته المكره)

كان بلا أهل بلا أصحاب¹.

وهنا يصور لنا صلاح عبد الصبور مأساة الإنسان الذي يموت وهو يسعى وراء قوة يومه والذي أخذت الحياة منه كل الأشياء الجميلة، فظل يصارع الحياة هذه إلى أن أخذته المنية بغتتا ودون سابق إنذار، وهذه الحال ليست حال هذا الرجل فقط بل هي حال كل إنسان في هذا العصر الذي سلبت الحياة منه ومن الآخر نعمة التلذذ بها ونزعت منه كل الأحاسيس الرائعة فجعلته يعيش كالجماد دون إحساس.

كنت أعرفه

أراه كلما رسا بي الصباح في بحيرة العذاب

أجمع في الجراب

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 309.

بضع لقيمات تناثرت على شطوطها التراب

ألقي بها الصبيان للدجاج والكلاب

وكنت إن تركت لقمة أنفت أن ألمها

يلتقطها، يمسحها في كفه،

يبوسها، يأكلها

" في عالم كالعالم الذي نعيش فيه

تعشى عيون التافهين عن وساخة الطعام والتراب" ¹.

هكذا إذا صور لنا صلاح عبد الصبور في هذه المقطوعة ذلك الإنسان التافه الذي يتغذى على بقايا الطعام ويعيش حياته البسيطة الصعبة والتي لا يشعر بها أحد من الناس اللذين كانوا حوله لكثرة انشغالهم بهموم الدنيا، ولأن هذا التحول الذي طرأ على الناس جردتهم كلياً من إنسانيتهم، حتى أن موته لم يشعر به أحد ولم يهتم به أحد، فالكل أصبح يهتم بنفسه فقط.

هكذا إذن تميز صلاح عبد الصبور بقوته وشجاعته في التعبير عن كل الظروف المحيطة به دون خوف، وأنه حمل لواء الإنسانية برمتها ولم يقتصر ذلك عن مشاكل بلده فقط الذي تغنى بها في عدة قصائد له وهذا ما يتجسد في "شبق زهران" "والناس في بلادي".

وبهذه تكون هذه العناصر الثلاثة من أهم الأسباب التي دافعت رائد الشعر الحر إلى الالتزام ففي كل قصيدة لصلاح عبد الصبور نلتمس فيه نوع من الالتزام الذي لم يتهاون ولم يتفانى في التعبير به عن طريق مجموعة من القصائد المتنوعة والتي تحاكي واقع العالم

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص310.

اليوم والذي تميز فيها صلاح عبد الصبور، فهذا الشاعر عرف كيف يستغل معرفته بالغرب ودراسته المعقدة عليهم، وهذا ما ظهر في قصائده فأول خطوة له هو التخلي عن النمط القديم للقصيدة العربية وبحنكته عرف أنها لا تلائم هذا العصر، وأيضا قضية فلسطين والتي تعد قضية العرب كلهم وتلك الآثار التي خلفتها في نفوس الشعراء، وأخيرا الإنسانية والتي عُرف بها صلاح عبد الصبور فهذا الشاعر سخر قلمه لكل إنسان يريد الكلام ويريد الإفصاح عما في داخله لهذا أصبح لسان كل إنسان مستضعف وأصبح يترجم لنا الحياة اليومية التي يعاني منها الإنسان، هكذا إذن كانت هذه العوامل من أهم الدوافع التي أدت بصلاح عبد الصبور لاتخاذ الالتزام عنوانا لقصائده.

3. تجلي الالتزام في ديوان أقول لكم لصلاح عبد الصبور:

شغلت قضية الالتزام في دواوين صلاح عبد الصبور المختلفة حيزا كبيرا منه، وعليه لهذا أخذنا بعض القصائد أنموذجا لدراسة هذه القضية باعتبارها أهم القضايا التي لها تأثير واضح في الشعر، ودورها الفعال في التعبير عن القضايا التي تهم الأمة والعمل على حل مشكلاتهم بنية صادقة، وبالتالي الكشف على أهم المواضيع التي تناولها الشاعر في هذه الدواوين ولعل أهمها "الالتزام السياسي" وثانيها "الالتزام الوجودي" ثم "الالتزام الديني" وأخيرا "الالتزام النفسي".

1.3. الالتزام السياسي:

حفلت دواوين صلاح عبد الصبور بالالتزام السياسي والتي حاول فيها ربط الشعر بالقضايا السياسية السائدة في الوطن العربي، والواقع الذي آلت إليه الأمة العربية، هدفه الدعوة إلى الكفاح والنضال من أجل الحرية والتحرر من قيود الاستعمار، ففي قصيدته "أبي تمام" عبر عن حسرته وحرقته عن الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني بعد التآمر عليه

وترك المجال لليهود في إقامة دولتهم، وكذلك حزنه وآلامه من معاناة الشعب الجزائري من همجية الاستعمار الفرنسي فيقول:

الصوت الصارخ في عمورية

لم يذهب في البرية

سيف البغدادي، الثائر

بشق الصحراء إليه ... لباه

حيث دعت أخت عربية

وامعتصماه ¹.

قام الشاعر في مطلع القصيدة باستحضار التاريخ وذكر حادثة فتح عمورية على يد الخليفة العباسي المعتصم بالله في معركته ضدّ الروم تلبية لنداء النجدة من الأخت العربية، هنا حاول الشاعر الهروب من الواقع التعيس الذي تعيشه البلاد العربية، وعبر عن حنينه إلى الماضي الجميل الذي كانت فيه الأمة العربية قوة متماسكة لا تعرف شيء اسمه الخوف والاستسلام عكس ما يحدث في واقعها الحالي من انكسارات وهزائم متتالية، فأخذ يعبر عن صرخة الشعب الفلسطيني في طلب النجدة من الشعوب العربية وعن جرح وأحزان الشعب الجزائري تحت رحمة الاستعمار الفرنسي فيقول:

لكن الصوت الصارخ في طبرية

لباه مؤتمران

لكن الصوت الصارخ في وهران

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 91.

لبته الأحزان¹.

في هذه الأبيات تحسر الشاعر على مأساة ومعاناة الشعب الفلسطيني والجزائري وتجلي ذلك حين أشار الشاعر إلى طبرية ووهران الأولى مدينة فلسطينية والثانية جزائرية، وتألم أكثر على الحال الذي آلت إليه الأمة العربية التي فقدت هيبته في مساندة شعوبها فحاول الشاعر الاستغاثة بالماضي وأخذ ينادي للمعتصم يشكي له هموم البلاد العربية فيقول:

يا سيف المعتصم الثائر

اخلع غمد سحائبك، وأنزل في قلب الظلمة

شق العتمة

خلصنا من وقر الأحزان

وأضرب يمني في طبرية

وأضرب يسرى في وهران².

في هذا المقطع ينادي الشاعر لسيف المعتصم يطلب منه النجدة والاستغاثة، وربط الماضي بالحاضر لتذكير الشعب العربي بالماضي المجيد للأمة العربية التي تميزت به على مدى التاريخ بالعز والكرامة، وهدفه إحياء الضمير العربي لاسترجاع مكانته، والتنديد بتقصير العرب في الدفاع عن الحق وعدم إخلاصهم في الدفاع عن الشعب العربي وبالتالي توعيتهم بأن الحق لا يسترجع إلى بالقوة والنضال وحثهم على ضرورة المقاومة والاتحاد والتماسك لأجل استعادة عزة الأمة وكرامتها الضائعة.

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 91-92.

² المصدر نفسه، ص 92.

تركت نكبة فلسطين أثارا عميقة في نفس الشاعر صلاح عبد الصبور لذا أخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن الواقع الفلسطيني حيث لخص الحالة الفلسطينية في قصيدة "ثلاث صور من غزة" فيقول:

لم يك في عيونه وصوته ألم

لأنه أحسه سنة

ولأنه ... استنشقه سنة

وشاله في قلبه سنة

وطالت السنون أزمنة

فأصبحت ألامه حقدا

بل أمل ينتصر الغدا¹.

في هذا المقطع تحدث صلاح عبد الصبور بلسان مواطن فلسطيني مشرد في عقر داره، يروي معاناته جراء ذلك في كل مرحلة من حياته كان يرجو استرجاع كرامته وكرامة الشعب الفلسطيني إلى أن ضاع عمره وهو ينتظر لحظة الانتصار على الكيان الصهيوني وتجلي ذلك في قوله "طالت السنون أزمنة" عبارة تدل على طول الانتظار وحزنه على الوقت الضائع إلا أنه تحلى بالصبر ولم يقطع الأمل طول مدة انتظاره هذا ما أشار إليه الشاعر في البيت الأخير من المقطع حيث قال: "بل أمل ينتظر الغدا" في هذا البيت صور الشاعر مدى تشبث المواطن الفلسطيني بالأمل وهو على يقين أن الإنسان إذا أراد الحرية والكرامة

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص100.

فإنه ينالها وأن الأحلام مهما طالت تتحقق حتى وإن كانت الظروف صعبة يبقى الأمل ولا شيء مستحيل.

وفي مقطع آخر من القصيدة أراد الشاعر توجيه رسالة وعي بث الأمل والقوة محل الإحباط واليأس في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني الذي يريد استرجاع حقه المشروع وإقامة دولة فلسطين فيقول :

يا أيها الصغار

عيونكم تحرقني بنار

تسألني أعماقها عن مطلع النهار

عن عودة إلى الديار

أقول ... يا صغار

لنتظر غدا

لو ضاع منا الغد يا صغار ضاع عمرنا سدى¹.

في هذا المقطع وصف الشاعر حرقته على صغار فلسطين اللذين لم يسلموا من بطش وهمجية الاحتلال الاسرائيلي، هؤلاء الصغار اللذين تفتحت عيونهم على الظلم والاضطهاد وسلب الحقوق وتدوقوا مرارة فقدان الأهل والأحبة، وحرموا من عيش طفولتهم كسائر أطفال العالم، فأخذ الشاعر يدعو هؤلاء الصغار إلى تجنب الدخول في دائرة اليأس وفقدان الأمل والتخلي بالصبر والصمود في وجه الاحتلال ومقاوماته، وانتظار ذلك اليوم المشرق.

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص101.

وفي مقطع آخر تغنى صلاح عبد الصبور بأمجاد فلسطين واعتز بها أيما اعتزاز، وعبر عن حسرته لضياها بسبب هجمات الاحتلال الوحشية والجرائم البشعة التي ارتكبتها السلطات الإسرائيلية في قطاع غزة فيقول:

كانت له أرض وزيتونة

وكرمة ساحة ودار

وعندما أوفت به سفائن العمر إلى شواطئ السكينة

وخط قبره على ذرى التلال

انطلقت كتائب التتار

تدوده عن أرضه الحزينة¹.

في هذا المقطع كشف الشاعر عن عمق العلاقة بين فلسطين وشجرة الزيتون لأنها تمثل جزء من الهوية الفلسطينية ورمز القومية والسلام، لأنها أكبر دليل على رسوخ جذور الفلسطيني في أرضه منذ آلاف السنين، ثم أخذ يتغنى بجمال غزة مفتخراً بأمجادها قبل هجوم المحتل عليها، ثم وصف الشاعر الحزن الذي خيم على هذه المدينة الجميلة بعد الدمار والخراب، والتشريد والحصار الذي خلفه العدوان الإسرائيلي في قطاع غزة، لكن على الرغم من هذه الظروف الصعبة والإمكانات البسيطة لهذا الشعب العظيم ظل متشبثاً بالمقاومة والصمود في وجه المحتل وفي هذا السياق يقول صلاح عبد الصبور:

لكنه خلف سياج الشوك والصابر، ظل واقفاً .. بلا ملال

يرفض أن يموت قبل يوم ثار

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص102.

يا حلم يوم الثائر¹.

في هذا المقطع بين الشاعر مدى تعلق الفلسطيني بأمل العودة إلى الديار واسترجاع حقوقه المسلوبة، حيث كان الصبر والصمود أقوى سلاح يملكه الفلسطيني لمحاربة أخطر الأسلحة التي يملكها الجيش الإسرائيلي والدفاع عن أرضه المحتلة واسترجاع حقه في العيش بعزة وحرية في أرض أجداده.

بناءً على ما سبق نستنتج أن صلاح عبد الصبور وظف الالتزام السياسي التحرري لتعبير عن رأيه السياسي وأفكاره التي توحى بروحه القومية العظيمة وذلك لدعم ومساندة قضايا أمته الكبرى ومشاركتها آلامها وأحزانها وإظهار معاناة الشعب العربي والكشف عن بطش الاستعمار والدعوة إلى التحرر وبت الحماسة في النفوس من أجل الحرية والاستقلال واسترجاع مكانة وعزة الأمة العربية.

2.3. الالتزام الوجودي:

نظراً لتأثر صلاح عبد الصبور بالفكر الغربي كان ولبد أن تتميز معظم قصائده بملامح الوجودية والواقعية، لأنهما المذهبان الرائدان في الالتزام، ولأن صلاح عبد الصبور اتخذ من الالتزام مبدأ له كان من الطبيعي أن يظهر الفكر الوجودي في قصائده، والذي يتميز بالفكر العميق، والتحدي وتصوير ظروف الإنسان المعاصر بكل جوانبه، وخاصة أن هذا العصر يتميز بالنزعات، وما يتميز به المذهب الوجود أيضاً ذلك الفكر العميق الذي يجعل العقل فوق كل اعتبار، ومن هذه الأفكار الوجودية صاغ صلاح عبد الصبور مجموعة من القصائد يُظهر فيه الفكر الوجودي بكل وضوح، والذي جعله مبدأ يمشي على خطاه.

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص102.

تعتبر قصيدة موت الإنسان لصلاح عبد الصبور من أهم القصائد التي تظهر فيه ملامح الالتزام الوجودي في شعر صلاح عبد الصبور والتي تدعو الإنسان إلى التحلي بالخصال العليا، ونبذ أزمة الإنسان المعاصر الذي مات بداخله، ولا يهتم بمن حوله وعلى هذا يستهل قصيدته بقوله:

ألا ما أشرف الإنسان حين يحس ثقل التاج في رأسه

وحين يحس أن الشمس في فؤديه لؤلؤتان

وحفنة أنجم نثرت على ترسه

وأن عليه ثوب الملك سربالا

وأن الله أورثه بساط الأرض

يشم شدى حفيف النسَم أميالا وأميالا

ويعتق الوجود بحب ملاك لما ملاك¹.

يشير صلاح عبد الصبور في هذه القصيدة إلا أن الإنسان يبلغ ذروة الشرف حينما تكون المسؤولية المتاحة على عاتقه على مقدرة عليها ويشعر بالمسؤولية اتجاه رعيته، وتلك المكانة التي أتيحت إياه هي تجربة له وليست للافتخار والتتعم بها ولكن يا للأسف فالإنسان المعاصر الذي يملك النفوذ يكون متكبرا ولا يشعر بغيره ولا بالطبقة الكادحة، والتي يدافع عنها معظم فلاسفة وشعراء المذهب الوجودي لأن هؤلاء الشعراء لسان تلك الطبقة التي لا تملك أي حق، وهذه الرسالة من صلاح عبد الصبور لكل مسؤول مهما كانت منزلته فعليه أن يلتزم اتجاه الناس اللذين هم تحت سلطته، ولا يعطوا عليهم وفي مقطع آخر يقول:

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 64.

ألا ما أشرف الإنسان حين يشم في الإنسان

ريح الود والألفة

ألا ما أشرف الإنسان حين يرى بعين إلفه الإنسان

ما يخفى من اللفة

إلى إنسان¹.

بما أن صلاح عبد الصبور من معتققي المذهب الوجودي الذي يتميز به جان بول سارتر وغيره من الفلاسفة كان من البديهي أن تكون قضية الإنسان أحد شاكلته، فالموت هنا لا يخص الموت الحقيقي بل هناك أناس تموت وهي لا تزال على قيد الحياة، أي تموت إنسانيتها فلا يشعر الإنسان بأخيه الإنسان، فالعالم اليوم أصبح عالم يتميز بالاغتراب وهذا الاغتراب قضى على خصال الإنسان الحقيقي، والتي جعلته يموت قبل أجاله، فالإنسان الذي لا يفكر بغيره ويسعى وراء مصالحه فقط لا يعتبر إنسان، فهو كالجماد الذي لا يهمله أي شيء في هذه الحياة فالإنسان بكل فئاته عليه المشاركة في القضايا العامة العادلة والتي ترجع الإنسان إنسانيته وتحرك وجدانه، ولهذا ذكر صلاح عبد الصبور في هذه القصيدة بمجموعة من الخصال التي يجب التحلي بها والتي تجعل من الإنسان يصل إلى درجة الشرف ومن هذه الخصال الألفة والمودة، التي غابتا كثيرا في هذا العصر، وفي مقطع آخر يقول:

ألا ما أتعمس الإنسان حين يموت في أعماقه الإنسان

ألا ما أجمل الإنسان حين يحوس في أرضه

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 64.65.

يُقلب جد بها في الخصب جذلانا

وحين يشق بالمحراث مملكته

أخاديدا ووديانا¹.

يدعوا صلاح عبد الصبور الإنسان في هذه القصيدة إلى التحلي بالمسؤولية اتجاه وطنه ومجتمعه، ويوضح أن الإنسان يصل إلى قمة الإنسانية عندما يشعر بروح وطنه وأن يكون خادما لوطنه دون أن ينتظر أي مقابل من هذا الوطن أو من مجتمعه، فالإنسان الذي يشعر بأرضه هو إنسان حي، وهذا ما يتضح لنا في اللذين يدافعون عن أرضهم ووطنهم ويسبلون أنفسهم في سبيل الوطن.

ومن هذه القصيدة نستنتج أن الإنسان شكل محورا أساسيا في شعر صلاح عبد الصبور، والذي لا طالما يحاول إخراج تلك الخصال الجيدة والمميزة للإنسان، وخاصة أن إنسان هذا العصر معروف عليه بحب الذات ولا يكون اجتماعيا وهذا ما سبب ذلك التباعد بين الإنسان والإنسان الآخر، وهذه القصيدة بمثابة رسالة مشفرة للإنسانية عامة تحت غطاء الموت، وهذا بغية تحريك الخصال النبيلة فيه وإعادة الحياة مجددا.

كانت قضية الموت من أهم المحاور الأساسية لفلاسفة الوجوديين حيث طرحوا عدة تساؤلات مختلفة حول هذه القضية، أي حقيقة الوجود، حقيقة الكون، وأيضا ما بعد الموت، وكان لكل طائفة من الفلاسفة الوجوديين نظرتهم نحو الموت حيث يرى البعض أن الإنسان ينتهي بانتهاء حياته ولا وجود له بعد الموت، لكن هناك فلاسفة وشعراء وجوديين يؤمنون بحياة بعد الموت، لكن ما يميز الوجوديون بصفة عامة أنهم لا يهتمون بالحياة، لأنهم يستحضرون الموت في كل حين، لهذا كانت هذه القضية من أهم قضايا التزام هؤلاء الشعراء

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 65.

حيث أعطوا لهذه القضية مساحة كبيرة في أشعارهم، ولأن صلاح عبد الصبور من معتقي الوجودية كان للموت نصيب كبير في أشعاره وفي مختلف دواوينه الشعرية وبمنظور مختلف أي لا تتشابه كيفية وصبغة التطرق لهذا الموضوع، ولا يخفى لنا أن صلاح عبد الصبور جريء في تطرقه لهذه القضية وهذا ما نلمسه بتلك التساؤلات الجريئة، ولهذا اخترنا قصيدة "الملك لك" لنبين كيف تطرق صلاح عبد الصبور لقضية الموت.

وفي حفرة من حفر الطريق

وهبناه للأرض باسم النبي

وجاء رجال، رجال غلاظ

ودقوا الحديد على قبره

حديد الطريق¹.

عالج صلاح عبد الصبور في هذه المقطوعة حتمية الموت التي لا مفر منها فهي قدر مكتوب على كل إنسان مهما كان شأنه في هذه الحياة، فكل إنسان محتوم عليه هذه الحفرة الضيقة التي تكون مأواه الأخير، فالشعراء المتأثرين بالفكر والفلسفة الوجودية دائماً ما جعلوا الموت قضيتهم الأولى التي تروقهم، وهذا عن طريق هذه التساؤلات المختلفة حول قضية الموت، فرغم الاختلافات إلا أنهم اتفقوا على أنها قضية محتمة ولا بد منها مهما طال عمر الإنسان.

أواحدتي ... فكرة طوفت برأسي ذاك المساء السحيق

أكان يدق صليب الحديد؟

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 61.

على رأسه

يوم كان قويا تضج الحياة بشريانه، ويفوح العرق

لو الأرض لم تزدره إليها، أكان الحديد عليه يدق .. ؟

ومن موته انبثقت صوتي¹.

أعطى لنا صلاح عبد الصبور هنا نموذج الإنسان الذي كان في يوم من الأيام قويا تعج الحياة في قلبه، فكان لا يشعر بأي هم ولا ضعف، حتى أن أوانه، فجأة انتقل إلى المجهول كما يحلو للبعض أو انتقل إلى جوار ربه حيث يكون الحساب والعقاب كما يوجد في اعتقاد البعض الآخر، والأهم من هذا حسب الوجوديين أن الإنسان الذي كان يفخر بنفسه وماله، أصبح اليوم جثة هادمة تحت الأرض تدوسه الأقدام لا يشعر بالافتخار ولا بالإهانة والنقص وأصبح من الماضي لا يذكر إلا في بعض الأحيان فحتى اسمه تغير وأصبح ينادى بذلك الميت، ومن هذا الإنسان تذكر الشاعر الموت التي هي حق علينا، وهذا ما قصده في قوله "ومن موته انبثقت صوتي".

ومن هذه الفلسفة الوجودية التي لا تبعد قضية الموت عنها نفس عدم تعلق صلاح عبد الصبور بالحياة ولهذا نجده يلتزم ويسخر قلمه لخدمة وطنه وشعبه، ولا يهتم بزينة الحياة، فكل اهتمامه يكون نحو الإنسان وقضاياه المختلفة.

3.3. الالتزام الديني:

مما لا شك فيه هناك علاقة متداخلة بين الشعر والدين، ويرجع ذلك إلى وجود نقطة تلاقي مشتركة بينهما، تتمثل في الدعوة إلى التغيير نحو الأفضل، فالعقيدة الإسلامية تحتوي على تعاليم دينية هدفها إصلاح أحوال الأمة وتقوية علاقة أفراد المجتمع ببعضهم البعض

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص 61.

بينما الشعر لا ينغزل عن المجتمع إذ يسعى دائما إلى معالجة أوضاع الناس في بيئته من منظور إسلامي، وعلى هذا الأساس تأثر صلاح عبد الصبور تأثرا واضحا والقرآن الكريم بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وكان لذلك له أثر بالغ في شعره.

وإذا عدنا إلى قصيدته القديس نجد شاعرنا قد أشار إلى كمال قدرة الله عز وجل وعظمته فيقول:

وأن الله خلق الأنام ونام

وأن الله في مفتاح باب البيت ¹.

يتضح من هذا المقطع أن الشاعر صلاح عبد الصبور استلهم معاني هذه الأبيات

من قوله تعالى ﴿ أو لم يرو أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقه ﴾²، كانت غاية الشاعر هنا تذكر الناس بعظمة الله عز وجل له القدرة الكاملة على كل شيء في لمح البصر ولا يعجز عنه أي شيء خلق ما في الوجود وأوجد الكون دون اكتراث لذلك .

تحدث صلاح عبد الصبور في مقطع آخر من القصيدة عن حقيقة الدنيا والقلب المنور بالإيمان ومحبة الله جل وعلا فيقول:

ذات صباح

رأيت حقيقة الدنيا

سمعت النجم والأهواء والأزهار موسيقى

"رأيت الله في قلبي"

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 61.

² سورة الأحقاف، الآية 33.

ساعاتها

شعرت بجسمي المجموم ينبض مثل قلب الشمس

شعرت بأني امتلأت متعاب القلب بالحكمة¹.

وضح الشاعر في هذه الأبيات أن حقيقة الدنيا تكمن في الإيمان بالله وطاعته وحسن التقرب منه، وقد استمد هذه المعاني من قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾²، أي أن الحب الإلهي سبيل الراحة والطمأنينة وله تأثير واضح في تزكية النفس وتطهير القلب والحصول على قلب لين قريب من الله، ومن هنا يتضح أنه ليس للحياة الدنيا أهمية إن لم تكن مشتملة على صحبة الله وذكره فيقول عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾³، هذه الآية الكريمة دليل على أن ذكر الله أعظم مقامات العبادة وسبيل للراحة والاطمئنان.

كما تحدث صلاح عبد الصبور عن الموت والحياة، وأشار أن الدنيا لا تدوم لأحد وأينما كان الإنسان يدركه الموت فيقول:

أقول لكم بأن الموت مقدر وذلك حق

ولكن ليس هذا الموت حتف الأنف

تعالى خيروا الأجيال أن تختار ما تصنع

لكي توسع

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 61.

² سورة البقرة، الآية 165.

³ سورة الرعد، الآية 28.

لمن يتبع¹

اقتبس الشاعر هذه المعاني من قوله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إينا ترجعون ﴾²، وعلى هذا اتضح أن الشاعر صلاح عبد الصبور شديد الإيمان بالآخرة واعتبر الموت حق على كل الناس والجميع سوف يرحلون يوماً عن هذه الحياة وأي إنسان صغير أو كبير قد يرحل عن هذه الدنيا في أي وقت وفي أي مكان، ثم أشار إلى أن موت الإنسان ليس نهاية أبدية رغم انقطاع جسده من الدنيا يبقى ما خلفه من علم وذكر خالد في التاريخ يستفيد الأجيال بعده.

وفي قصيد "موت فلاح" تحدث صلاح عبد الصبور عن ملك الموت وهو يقبض روح الفلاح فيقول:

وعندما جاء ملك الموت يدعوه

لون بالدهشة عينا وفما

ومدّ للأمام ساعدا، وجرّ في عياء قدما

واستغفر الله

ثم ارتمى³،

يشير في البيت الأول إلى قول المولى عز وجل في كتابه العزيز ﴿ يتوفاكم ملك

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص55.

² سورة العنكبوت، الآية 57.

³ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص11.

الموت الذي وكل بكم¹، بمعنى أن الله عز وجل وكل ملك الموت ليقبض أرواح جميع الناس دون استثناء.

ثم انتقل الشاعر في الأبيات الموالية إلى وصف ملامح الفلاح عند مجيء ملك الموت إليه مصورا علامات الخوف والدهشة التي برزت على وجهه بشكل واضح ثم تحدث عن استسلامه لمشيئة الله عز وجل واستغفر ربه لينتقل بعد ذلك إلى مثواه الأخير.

وفي مقطع آخر من القصيدة تحدث الشاعر عن قبول أهل الفلاح موته وهو دليل عن الرضاء بالقضاء والقدر فنجدته يقول:

وجاء أهله وأسلموا جفونه

وكفنوا جثمانه وقبلوا جبينه

وغيبوه في التراب، في منخفض الرمال

وحدقوا إلى الحقول في سكينته

وأرسلوا تنهيدة قصيرة ... قصيرة².

في هذه الأبيات وصف الشاعر صبر أهل الفلاح على المصيبة التي حلت بهم وعدم اعتراضهم على القدر والرضا بما قضاه الله وهذا ناتج عن قوة إيمانهم بمشيئة الله واستجابة لقوله تعالى ﴿... وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾³، تحتوي الآية الكريمة على معاني عظيمة تعين المرء على الصبر من المصائب

¹ سورة السجدة، الآية 11.

² صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 11.12.

³ سورة البقرة، الآية 155.156.

والرضا بقضاء الله وقدره وهدفها رفع الروح المعنوية والحماية من شر الأمراض النفسية والأعراض العصبية.

كما تحدث صلاح عبد الصبور عن الصلاة والمحافظة عليها والحرص على أدائها فيقول :

يدعو إله النعمة الأميين برعاه، حتى يقضي الصلاة¹.

يدل هذا البيت على أن الشاعر يؤمن إيمانا راسخا بأن الصلاة أساس الدين الإسلامي ومن أعظم العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده، لذا أخذ يدعو ربه أن يجعله مداوما للصلاة والالتزام بها وقد استمد هذا المعنى من قوله تعالى ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾²، هذه الآية الكريمة دعاء من أجل الحفاظ على إقامة الصلاة والالتزام بأركانها باعتبارها أعظم أركان الإسلام وشعار الإيمان.

مما سبق تبين لنا أن الشاعر صلاح عبد الصبور تناول الالتزام الديني في قصائده المختلفة ومن خلال الأبيات الشعرية التي عرضناها، برز التزام الشاعر الديني نتيجة تأثره الشديد بالدين الإسلامي والتزامه بتعاليمه لأنه كان كثير الاقتباس من القرآن الكريم.

4.3. الالتزام النفسي:

يعد التطور الذي عرفه الإنسان المعاصر من الأسباب التي أدت به إلى الشعور بالغرابة والوجس من أخيه الإنسان، فلم تعد الحياة الاجتماعية كما كانت من قبل فالكل ينفر من الآخر، ويعد الشعراء والأدباء من الأوائل الذين شعروا بهذا التغيير في حياة الإنسان، فلم تعد الإنسانية موجودة وهذا ما يظهر في تلك الحربين العالميتين التي دمرت العالم بكل

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 87.

² سورة إبراهيم، الآية 40.

وحشية، وهذا ما يفسر الاضطراب النفسي الموجود في جميع الشعراء خاصة العرب، اللذين ظنوا أنفسهم من أقوى وأرقى الأقاليم، فأثت النكبات متتابعة، وهذا ما أحدث صدمة كبيرة في أنفسهم، لهذا اختار الشعراء نمط جديد في قصائدهم والتزموا به كصلاح عبد الصبور الذي تشكل نبرة الحزن مجمل قصائده وهذا إثر تلك الصدمات النفسية التي تعرض إليها شخصيا، أو ما تعرض إليها المجتمع، والتي تؤكد على أن صلاح عبد الصبور التزم التزاما شديدا في المواضيع التي تحكي عن الغربة والحزن والآلام والتي تُظهر معاناة الإنسان المعاصر.

وتعتبر قصيدة "الحزن" خير مثال على أن صلاح عبد الصبور شديد الالتزام في قضايا العصر من غربة وصراعات نفسية وصعوبة العيش في هذه الحياة، وهذا ما عبره في هذه القصيدة فيقول:

يا صاحبي، إني حزين

طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

وغمست في ماء القناعة خير أيامي الكفاف¹.

عبر صلاح عبد الصبور في قصيدته هذه عن حزنه، حيث أنه بحاجة إلا من يشارك معه هذا الحزن الذي سطر على نفسه، تجاه تلك الطبقة الكادحة التي تسعى وراء قوة يومها، فصلاح عبد الصبور حزين لأنه يرى هذه الفئة من المجتمع تركض يوميا وراء هذا القوت، وهذا ما يفسر ذلك الانغماس النفسي لهذا الشاعر لأنه شاعر لا يكتب لنفسه فقط ولا يعبر عن وجدانه الشخصي فقط، بل شاعر يكتب لغيره ويرى ما لا يراه غيره، وهذا ما يفسر هذه الحالة النفسية لصلاح عبد الصبور، وفي مقطع آخر يقول:

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص36.

وأتى المساء

في غرفتي دلف المساء

والحزن يولد في المساء لأنه حزن ضير

حزن طويل كالطريق من الجحيم إلى الجحيم

حزن صموت¹.

رغم مرور الوقت إلا أن الحزن لم يفارق كيان ووجدان الشاعر فهذا الشعور سكن بداخله وكأنه ظل يرافقه حيث ما ذهب، وما يفسر هذا الشعور هو ذلك الإحساس الشديد بأخيه الإنسان فهو لا يعيش لنفسه فقط بل هو ابن مجتمعه ولا يرضى بهذه التجاوزات التي تحدث في المجتمع أو التي تمارسها السلطة وبما أنه يعتبر نفسه مسؤول اتجاه المجتمع تولد دائماً هذه الحالة النفسية فيه وهي الحزن، وهذا الصمت الذي يوجد في الشاعر، لا يعني أنه راض بما يحدث أمامه، بل هو إحساس بالألم والقهر وعجزه أمام أصحاب القوة .

الحزن قد قهر القلاع جميعها وسبى الكنوز

وأقام حكاما طغاة

الحزن قد سمل العيون

الحزن عقد الجباه

ليقيم حكاما طغاه².

¹ صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص37.

² المصدر نفسه، ص38.

تفسر ظاهرة الحزن التي يعيشها الشاعر والمجتمع ذلك الطغيان الذي يمارسه الحكام، فهو السبب الرئيسي الذي شكل الحزن والأسى في نفس الشاعر مما أدى به إلى الالتزام اتجاه تلك الطبقة حيث عبر عن الأملهم وأحزانهم بقلمه، فحزن المجتمع يضاهي حزنه هو فكل ما يحل بالمجتمع يحل به أيضا.

أما في قصيدة الشيء الحزين عبر صلاح عبد الصبور عن الحزن الداخلي الذي يسكنه هو وأغلبية الشعراء الرومانسيين، وهذا الحزن أو النظرة الجديدة للعالم هي من الأسباب الرئيسية التي جعلت هؤلاء الشعراء يبدعون نمطا وطريقة جديدة في كتابة الشعر التي تخطت كل الأنماط القديمة، وصلاح عبد الصبور أحد هؤلاء الشعراء الذي لا تخلوا قصائده في صبغة الحزن الذي فتك كل دواخله، وما يميز صلاح عبد الصبور عن البقية أنه دائما ما يصرح بهذا الحزن ولا يتركه كتلميح فقط، بل يصرحه كحالة نفسية يعيشها ويعيش معه.

هناك شيء حزين في نفوسنا حزين

قد يختفي ... ولا يبين

لكنه مكنون

شيء غريب ... غامض .. حنون¹.

صرح صلاح عبد الصبور في هذه المقطوعة بالآلام والمعاناة التي شكلت له حزنا بداخله لكن دون أن يعي المعنى الكامن لهذا الحزن، ورغم أن هذا الحزن قد يختفي في بعض الأحيان، إلا أنه دائم الوجود في نفسيته، رغم أنه لا يشعر به في بعض الحالات،

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص5.

وهذا الحزن خلف أثرا في نفسيته، ولعل ما سبب له ذلك الحزن هي الحالة الجديدة التي يعيشها الإنسان المعاصر التي تتسارع يومياته وتتشابه.

لعله الأسى

الليل حينما ارتمى على شوارع المدينة

وأغرق الشيطان بالسكينة

تهدمت معابر السرور والجدد

لا شيء يوقف الأساه .. لا أحد ¹.

عبر صلاح عن سبب حزنه في هذه الأبيات الشعرية وربط سبب حزنه بمجموعة من الأسباب وهي التذكار أو الندم أو الأسى، وهذا بغية منه لتعليل سبب هذا الحزن، لكن هذا الحزن هو أعمق بكثير من أن يكون التذكار أو الندم، فهو متأسي على كل ما يجري من حوله وهذا ما يسبب له حزن كبير وتأثر بليغ في نفسيته، فالحالة التي يعيشها الإنسان من تفاهة وعدم مبالاة، وعدم اهتمامه بالآخر، ولد له هذا الشعور في نفسيته والذي هو ضد كل هذه الصفات التي يعرفها المجتمع الجديد خاصة الذي يسكن في المدينة.

لا تسأل الشيء الحزين أن يمر كل يوم

على مرافئ العيون

لا تسأل الشيء الحزين أن يبين .. أن يبين

لأنه مكنون

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص7.6.

لا تسأل الشيء الحزين أن يقر

لأنه كطائر البحار... لا مقر¹.

يؤكد صلاح عبد الصبور أن حزنه حزنٌ أبدي وأنه دائم الوجود في داخله فهو شعور لا يفارقه أبداً إلا أنه يؤكد أن هذا قد يظهر في بعض الأحيان وقد لا يظهر في بعض الأحيان الأخرى فالظروف هي التي تولد هذا الحزن خاصة أن صلاح عبد الصبور معروف عليه أنه شخص محب وبحب الإنسانية، وخاصة أصدقائه الذي دائماً ما يكون قريب إليهم، ولهذا يقول أن الحزن "كطائر البحار لا مقر له"، أي أنه يظهر بين الحين والآخر، وأيضاً يقصد أن الحزن سببه ليس سبب واحد فقط بل تعددت أسباب الحزن والأسباب التي أدت إلى الحزن.

ومن هذه القصيدة الشيء الحزين تشكل نوع آخر لحزن صلاح عبد الصبور الذي كان يحزن من الظروف الاجتماعية والظروف المعيشية التي يعيشها الإنسان وهذا في قصيدة "الحزن"، أما في قصيدة "الشيء الحزين" فإن نوع هذا الحزن نوع آخر وهو الحزن الذي ترتب في النمط الجديد للحياة والذي أصبح فيه الإنسان كالألة.

لم يقتصر صلاح عبد الصبور في تعبيره عن الحالة النفسية له بالحزن والأسى فقط بل عنون قصيدة كاملة تعبر عن قلقه الوجداني، عكس الشعراء الآخرين اللذين يخافون من التعبير عن الحالة النفسية لديهم أو حتى لغيرهم، ويختبئون وراء كلمات توحى بذلك فقط، وهذا ما يميز صلاح عبد الصبور ويؤكد التزامه بهذا الاتجاه النفسي، وهو لا يخفي مشاعره وحالته النفسية وهذا ما نلاحظه في قصيدة "القلق" حيث استهل قصيدته بقوله:

رباه، ما ذي الليلة الباردة

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 8.7.

نجومها آفلة .. خامدة

وريحها معولة شاردة

أسير في الطريق

فقر من الرفيق

ألوك لحن لوعة

مغرق العروق

وصحوتي غارقة

في مهمه سحيق¹.

يناجي صلاح عبد الصبور في هذه المقطوعة الله عز وجل عن قسوة تلك الليلة الباردة التي لم يخف حالته التي أصيب بها بالوحدة والخوف خاصة أنه كان في الطريق لوحده لا مال ولا صديق كان بجانبه في تلك الليلة المظلمة، حيث تأنس باللوعة التي كانت بحوزته، فهي الوحيدة التي كانت مؤنسته في هذه الليلة العاتمة، وفي قوله أيضا:

قنينة مهشمه

ولقمة مسممه

وخطوة محطمه

وصخرة ميممه

تلوح خلف الأكمه

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص108.

مشنقة مدممه¹.

دقق صلاح عبد الصبور في صورة الشخص الثمل في هذه الأبيات حيث وصف كل حالته المزرية التي كان عليه، والمحطمة معنويا بحيث أن هذه الحالة التي تنتج تكون إلا إذا كانت كل المنافذ مغلقة في وجه الشخص، لهذا اتجه إلى هذه القنينة لكي ينسى همومه ومآسيه اليومية، حيث تأخذه هذه القنينة إلى عالم آخر ينسى فيه كل شيء وحتى وجهته وحتى رغبته في الحياة، ومن خلال هذا يولد ذلك الشعور بالقلق والحسرة قبل وبعد الصحو، أي أن ما أدى الشخص إلى ذلك قلقه الداخلي والوجداني من هذه الحياة، وبعد الصحو يزيد الشخص قلقا وحسرة لأنه سيعود إلى تلك الحالة النفسية، وعليه أن يتخطاها بطرق أخرى لأن تلك القنينة لا تتسبك بالحياة إلا بضع دقائق، هكذا إذا عبر صلاح عبد الصبور عن القلق الذي سكنه وبسكن غيره في هذه القصيدة والتي عنوانها بعنوان مباشر دون أي تلميح له.

وفي هذه القصائد المتنوعة لصلاح عبد الصبور نستنتج هذا الارتباط الوثيق لصلاح عبد الصبور بالاتجاه النفسي يظهر لنا أنه جد ملتزم بهذا الاتجاه النفسي حيث يعتبر من الشعراء القلائل الذين يعبرون عن حالتهم النفسية مباشرة وبدون إحياء ولهذا نجد عناوين مباشرة تدل على تلك الحالة النفسية التي هو عليه، ونظرا لكل الظرف التي عاشها ويعيشها المجتمع العربي كان من الطبيعي أن ينتج هذه الحالة النفسية لصلاح عبد الصبور والذي يلقب بشاعر الحزن والذي هو شديد الالتزام في هذا الباب.

ومن هنا قد سلطنا الضوء على أهم الاتجاهات التي تميز بها صلاح عبد الصبور، ومنها الالتزام السياسي، الذي شارك في الشعب العربي أهم قضاياهم السياسية ومواقفهم الوطنية، ومن ثم الالتزام الوجودي الذي يبرز فيه أهم القضايا الوجودية كالوجود الإنساني

¹ صلاح عبد الصبور، أقول لكم، ص 109.

وقضية الموت وغيرها من القضايا الفلسفية المصيرية، والالتزام الديني الذي نادى من خلاله إلى الإصلاح والتذكير بقدرة الله عز وجل، وأيضاً الالتزام النفسي الذي اهتم فيه بالقضايا النفسية العميقة التي بعنها الإنسان من مشاكل نفسية وداخلية، وهكذا تكون هذه القضايا من أهم القضايا التي تميز فيها صلاح عبد الصبور والتي سخر قلمه من أجل هذه القضايا المختلفة.

خاتمة

في ختام بحثنا الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور، توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي قد تساعد باحثاً آخر في مواصلة هذا الموضوع الذي يبقى مفتوحاً قابلاً لدراسات وتأويلات مختلفة، وعلى هذا استخلصنا ما يلي:

في هذا البحث توصلنا إلى أن للالتزام عدة تعاريف لغوية ومفاهيم اصطلاحية، لكن رغم هذه التعاريف المتنوعة، إلا أنه يبقى التقارب موجود بين كل هذه التعاريف اللغوية والمفاهيم الاصطلاحية، فالالتزام أساسه الحرية والافتتاح بفكرة وموضوع معين.

اختلفت الآراء حول قضية الالتزام، فهناك من استبعد الشعر من الالتزام، وعلى رأسهم الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر، ومنهم من يرى أن الالتزام يخص كل الفنون ولا يقتصر على فن معين، وكل الفنون الإبداعية لها الحق في الالتزام.

هناك أنواع عديدة من الالتزام فهناك الالتزام الاشتراكي والوجودي والإسلامي، وكل منهم، كانت له نظريته الخاصة حول هذه القضية، وكل مدرسة أو مذهب والأسس التي بنت عليها نظريتها للالتزام، لهذا نرى أن في كل مذهب والأدباء أو الشعراء الخاص بهم الذين يدافعون عن أفكارهم، ومن هذا تجلت تلك الحرية في الالتزام.

رغم أن الالتزام يعتبر قضية إنسانية لها غاية عظيمة، إلا أن هذا لم يمنع فئة تعارض هذه القضية، والتي ترى أن الالتزام حد من جمالية العمل الأدبي، وأصبح ذو غاية نفعية أكثر منه جمالية، وهذا ما عارضته كثير هذه المدرسة والتي ترى أن الأدب والفن بصفة عامة غايته في ذاته وجماليته وليس لخدمة طرف دون طرف آخر.

نظراً لظروف الإنسان المعاصر وما يعيشه من تدهور وأزمات مختلفة كان من الطبيعي أن تظهر مجموعة من الشعراء تحاول أن تحرك وجدان هذا الإنسان وتجعله

يتعاطف مع أخيه الإنسان، وبهذا يكون الأدباء قد أدوا خدمة اجتماعية لهذا الإنسان، ألا وهو تحريك عواطفه وأحاسيسه.

توصلنا في بحثنا هذا أنه رغم حداثة مصطلح الالتزام إلا أن ملامحه كانت منذ القدم، وهذا ما حولنا إثباته في تحريتنا في هذا الموضوع، فلامح الالتزام تجلت منذ العصر الجاهلي، من الولاء للقبيلة وما غير ذلك، لهذا نستطيع القول أن الالتزام حديث المصطلح والتنظير فقط، أما من ناحية الاستعمال والممارسة كان منذ القدم.

كانت لقضية الالتزام مكانة وأهمية في الشعر العربي، نظرا لما يعيشه الإنسان العربي من تدهور وصراعات داخلية وخارجية، لهذا استغل الشعراء هذه القضية من أجل الدفاع عن الإنسان المضطهد، وإبراز كل المشاكل التي يعانيها الإنسان العربي، ولهذا استغل هؤلاء الشعراء هذه القضية خير استغلال.

تعددت دوافع الالتزام في الشعر العربي فكل شاعر أو مجموعة من الشعراء ودافعهم الخاص من أجل الالتزام، لكن نحن في هذا المبحث، حاولنا أن نجتمع الدوافع التي جمعت بين كل الشعراء، ومن هذه الدوافع نجد الاحتكاك بالغرب، ونكبة فلسطين، والمجتمع والقومية، حيث تبقى هذه العناصر الثلاثة من أهم الأسباب التي أدت بشعراء العرب إلى الالتزام، لكن هذا لا يعني أن دوافع الالتزام مقتصرة حول هذه العناصر الثلاثة، بل هناك عدة عوامل أخرى.

استغل الشعراء العرب القضايا العربية المختلفة من أجل الدفاع عنها وتسخير أرقامهم من أجل هذه القضايا، كالقضية الجزائرية، والقضية الفلسطينية، التي كانت محورا هاما في قصائد شعراء العرب، خاصة أن القضية الجزائرية كانت بمثابة معجزة حقيقة ومحرك لمعظم انتفاضات العرب، أما القضية الفلسطينية تبقى القضية الأم التي يدافع عليها أي شاعر غيور على أرضه ووطنه.

للاللتزام في شعر صلاح عبد الصبور مكانة وأهمية بالغة، وهذا ما تجسد في معظم قصائده المتنوعة، وهذا ما استخلصناه عند تطرقنا إلى دراسة قصائده الشعرية، فلا تكاد تخلوا قصيدة من قصائده من ملامح اللتزام، وهذا ما يثبت تلك المكانة التي حظي بها اللتزام في مختلف أشعاره.

لم يبتعد كثيرا صلاح عبد الصبور عن الشعراء العرب في الدوافع التي أدت به إلى اللتزام، وكان تأثره بالمناهج الغربية المختلفة من أهم الأسباب التي أدت به إلى اللتزام، وأيضا قضية فلسطين التي كانت قضية كل عربي، وما يميز صلاح عبد الصبور عن الآخرين أنه متأثر بكل القضايا الإنسانية، ولم يقتصر ذلك بقضايا مجتمعه فقط، وكل هذه الظروف المختلفة أدت بصلاح عبد الصبور إلى اللتزام.

التزم صلاح عبد الصبور بعدة قضايا متعددة، تثبت لنا ذلك التنوع الموجود في شعره، فلم يقتصر توجهه على مذهب دون آخر، فكان متعدد التوجه والميول وهذا ما حاولنا إثباته عندما تطرقنا إلى الحديث حول أنواع اللتزام في ديوان صلاح عبد الصبور، فتحدثنا عن اللتزام السياسي، والوجودي، والديني، والنفسي، وهذا ما يثبت شساعة فكره وإطلاعه على كل المذاهب المختلفة، وأنه منقبل لكل المذاهب، وهذا ما يثبت لنا تلك الشخصية القوية التي تميز بها الشاعر الحزين.

وفي الأخير نتمنى أننا وفقنا في إنجاز هذا البحث، وكنا بمستوى تطلع الأساتذة الكرام، وأننا استطعنا أن نقدم شيء لم يتوصل عليه أحد من قبلنا.

قائمة المصادر

والمراجع

* القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. المصادر:

(1) صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 1982.

(2) صلاح عبد الصبور، أقول لكم، منشورات الكتاب التجاري للطباعة والتوزيع

والنشر، دب، ط1، 1961.

(3) صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، درا العودة، بيروت، ط2، 1977.

2. المراجع العربية:

(1) إبراهيم عبد الرحمان محمد، مناهج نقد الشعر، في الأدب العربي الحديث،

الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت، ط1، 1997.

(2) أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.

(3) أبي العناهيّة، ديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986.

(4) أبي العلاء المعري، اللزوميات، تح، أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1،

ج1، دس.

(5) إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع،

عمان، ط2، 1998.

(6) احسان عباس، بادر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، المؤسسة العربية

لدراسة والنشر، بيروت، ط6، 1992.

(7) أدونيس، الشعرية العربية، دار الأدب،، بيروت، ط2، 1989.

- 8) بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، دط، 1984.
- 9) توفيق الحكيم، فن الأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1972.
- 10) حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان، تح، عبد الله منرة، دار العرفة، بيروت، ط1، 2006.
- 11) رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط.
- 12) عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1995.
- 13) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، ج1، 1981.
- 14) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، ج2، 1981.
- 15) عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1993.
- 16) عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دارا الفكر العربي، دب، ط3، دس.
- 17) فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993.

- (18) محمد رأفت سعيد، الالتزام في التصور الإسلامي للأدب، دار الهداية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987.
- (19) محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2000.
- (20) محمد سعيد مولى، ديوان عنتر، المكتب الإسلامي، دب، دط، 1964.
- (21) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997.
- (22) محمود درويش، الأعمال الكاملة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2005.
- (23) مسعد بن عيدي العطوي، تأملات في الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد، 2014.
- (24) مهدي محمد ناصر الدين، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994.
- (25) ميخائيل نعيمة، الغريال، دار النشر نوفل، دب، دط، دس.
- (26) ناصر بن عبد الرحمان الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، دار الأصالة لثقافة والنشر والإعلام، ط1، 1987.
- (27) نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، دط، ج3، دس.
- (28) نزار قباني، قصتي مع الشعر، دن، ببيروت، دط، 2010.

(29) نور القيس، الأدب والالتزام، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، دط، 1979.

(30) وليد إبراهيم قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008.

3. المراجع المترجمة:

(1) جان بول سارتر، ما الأدب، تر، محمد غنيمي هلال، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دس.

(2) هيرمان نورثروب فراي، في النقد والأدب والأسطورة، تر، عبد الحميد إبراهيم شيحة، مطابع الدجوى، القاهرة، دط، دس.

4. المعاجم:

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، مج2، دس.

(2) محي الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، دط، مج1، دس.

5. المجلات والدوريات:

(1) أبو الحسن أمين مقدسي، دراسة أغراض التكرار في الشعر الملتزم عند البياتي، مجلة أفاق الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 2017.

(2) عبد الحسين فقهي، إضاءات، قضية الالتزام بين الخطاب النقدي والشعري في الأدب العربي المعاصر، إضاءات نقدية، س8، ع32، 2018.

6. الرسائل الجامعية:

- 1) أمل ديبو، الالتزام في شعر بدر شاكر السياب، إشراف، نديم نجمي، مذكرة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1982، (249).
- 2) عطا الله رجا محمد، شعر الاتجاه الإسلامي في الأردن، إشراف، محمد أحمد المجالي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 1997، (181).
- 3) فؤاد عمر علي البادلي، الالتزام في شعر محمد التهامي، إشراف خالد أبو علي، مذكرة ماجستير الجامعة الإسلامية، غزة، 2003، (215).
- 4) معاشو بووشمة، الأسطورة في شعر صلاح عبد الصبور، إشراف، بن حليبي عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011/2012، (133).

7. المواقع الإلكترونية:

- 1) خالد بريش، هزيمة 1967 فتحت أبوابا موصدة في الإبداع، عرب 48، 2017، <http://www.arabe48.com>
- 2) سمية عبد المنعم، صلاح عبد الصبور.. عبقرى أثرى الشعر العربي وتأثر بالغربي، الوفد، 2014، <https://m.alwafd.news/>
- 3) سمير عبد الله، كيف تأثر صلاح عبد الصبور بالكتاب العالميين؟، الدستور، 2019، <https://www.dostor.com>
- 4) عماد عبد الوهاب الضمور، فلسطين في شعر محمود درويش، الدستور، 2017، <https://www.addustour.com>
- 5) فتحي الخطاب، محمود درويش... شاعر الجرح الفلسطيني، قناة الغد، 2018، <https://www.alghad.tv/>
- 6) محمود حسن، جميلة بوحيد رمز نضال المرأة العربية، اليوم السابع، 2018، <https://www.youm7.com>

(7) هاجر العرابوي، موقف الالتزام والإلزام من الأدب، ديوان العرب، 2018،

<http://www.diwanaalarab.com>

(8) وائل بن يوسف العريني، الفن للفن، شبكة الألوكة الأدبية، 2007،

<https://www.alokh.net>

(9) يونس إبراهيم أبو مصطفى، موقف النقاد من قضية الإلزام الخلفي في الشعر،

شبكة الألوكة الأدبية، 2012، <https://www.alukah.net>

فهرس

الموضوعات

1	مقدمة
6	مدخل: الالتزام الماهية والمفهوم
7	1. مفهوم الالتزام
7	1.1. الالتزام لغة
8	2.1. الالتزام اصطلاحا
8	1.2.1. مفهوم الالتزام عند الغرب
11	2.2.1. مفهوم الالتزام عند العرب
12	2. أنواع الالتزام
12	1.2. الالتزام الواقعي الاشتراكي
14	2.2. الالتزام في المذهب الوجودي
16	3.2. الالتزام في الفكر الماركسي
17	4.2. الالتزام في المفهوم الإسلامي
20	3. الأديب وقضية الالتزام
26	4. قضايا الإنسان المعاصر في الأدب
31	الفصل الأول: تجلي الالتزام في الشعر العربي
32	1. تجلي الالتزام في الشعر العربي
32	1.1. الالتزام في الشعر الجاهلي

- 36 2.1 الالتزام في الشعر الإسلامي
- 41 3.1. الالتزام في الشعر الأموي
- 44 4.1. الالتزام في الشعر العباسي
- 49 2. مكانة وأهمية الالتزام في الشعر العرب المعاصر
- 58 3. دوافع الالتزام في الشعر العربي
- 58 1.3. الاحتكاك بالغرب
- 60 2.3. نكبة العرب
- 63 3.3. المجتمع والقومية
- 67 4. شعراء الالتزام والقضايا العربية
- 68 1.4. الثورة الجزائرية
- 68 1.1.4. مفدي زكريا
- 72 2.1.4. بدر شاكر السياب
- 78 3.1.4. عبد الوهاب البياتي
- 82 2.4. القضية الفلسطينية
- 83 1.2.4. محمود درويش
- 87 2.2.4. نزار قباني
- 94 3.2.4. فدوى طوقان

100	الفصل الثاني: تجلي الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور
101	1. مكانة الالتزام وأهميته في شعر صلاح عبد الصبور
115	2. دوافع الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور
116	1.2 صلاح عبد الصبور والاحتكاك بالغرب
121	2.2 صلاح عبد الصبور ونكبة فلسطين
123	3.2 صلاح عبد الصبور والقضايا الإنسانية
127	3. تجلي الالتزام في ديوان أقول لكم لصلاح عبد الصبور
127	1.3 الالتزام السياسي
133	2.3 الالتزام الوجودي
138	3.3 الالتزام الديني
143	4.3 الالتزام النفسي
152	خاتمة
156	قائمة المصادر والمراجع
163	فهرس الموضوعات

ملخص البحث:

يتناول بحثنا الموسوم بـ: "الالتزام في شعر صلاح عبد الصبور" إحدى القضايا التي عرفها الأدب المعاصر، وهذه القضية هي الالتزام، لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة تتبع فكرة الالتزام في ثنايا شعره، والكشف عن أشكالها وتجلياتها المختلفة، وعليه عرضنا مختلف المواقف التي سجل فيها صلاح عبد الصبور حضوره شعريا، والملاحظ عليه أنه متعدد التوجهات، فالتمزم بالقضايا السياسية والاجتماعية والوجودية، وغيرها من القضايا التي عرفها العصر الحديث، وأيضا كشفنا على تلك المكانة التي احتلتها قضية الالتزام في شعره، فلا تكاد ملامح الالتزام تظهر في معظم أشعاره، وأيضا تطرقنا إلى الدوافع المختلفة لاختياد هذه القضية كمبدأ له، ولعل ما يميز صلاح عبد الصبور عن الشعراء الآخرين تأثره بمختلف القضايا الإنسانية، المختلفة ولم يكتب بقضية مجتمعه فقط.

الكلمات المفتاحية:

الشعر المعاصر، صلاح عبد الصبور، الالتزام، الاشتراكية، الوجودية، الماركسية، قضايا الإنسان، الأدب، الحرية، المسؤولية.